الفصل الرابع

العلماء والحياة الاجتماعية بمصر والشام

obeikandl.com

نقاط الفصل الرابع

١ ـ المستوى الاجتماعى للعلماء .

أ ـ المكانة الاجتماعية للعلماء لدى السلطة والرعية .

ب ـ المستوى المعيشى للعلماء « مرتبات العلماء ـ ملابسهم ، حياتهم بين الزهد والتقشف وبين الثراء » .

٢ ـ تطهير المجتمع من الأمراض الاجتماعية والرذائل الأخلاقية .

* محاربة تعاطى الخمر والحشيش .
* محاربة البغاء ، والشذوذ الجنسى .
* محاربة تبرج النساء .
* محاربة دور القِمار .

٣ ـ العلماء والفقراء .

* العلماء وتثمير الأوقاف المرصودة على الفقراء .
* إطعام العلماء الفقراء .
* توزيع العلماء أموال الأغنياء على الفقراء .
* حث العلماء الأغنياء الإنفاق على الفقراء .

٤ ـ تزويج الأيامى .

٥ ـ العلماء والعمران .

أ ـ المدارس .

ب ـ المساجد .

جـ ـ الزوايا .

د ـ السبل .

هـ ـ الخانات .

و ـ أبراج الرباط .

obeikandl.com

١ ـ المستوى الاجتماعى للعلماء

ينقسم المجتمع المملوكى إلى طبقات ثلاث ، الطبقة الأولى يمثلها المماليك الذين عاشوا فى المجتمع كطبقة أو ليجاركيه (Oligarchy) بمعنى طبقة القلة المميزة أو حكومة القلة المميزة ، وكانو يشكلون طبقة عسكرية أرستقراطية أجنبية منفصلة عن الشعب والبلاد التى يحكمونها ، وكانت تلك الطبقة تتكون من السلطان وحاشيته ، والأمراء المماليك أصحاب المراتب العالية والوظائف العليا « وظائف أرباب السيوف »[*][(١)] .

أمّا الطبقة الثانية ، فقد أطلقت عليها المصادر « الأعيان » أو « المعممون » للدالة على العلماء والفقهاء أرباب الوظائف الدينية[*] « من قضَاء وحسَبه وتدريس وغير ذلك »[(٢)] .

أمّا الطبقة الثالثة هى طبقة العامة وهى تمثل مختلف الشرائح من التجار وأهل الحرف والصنائع والباعة والسوقة حتى نصل إلى أدنى شريحة من شرائح العامة وهم الحرافيش[(٣)]

(*) وظائف أرباب السيوف ، تلك الوظائف القاصرة على أمراء المماليك ذوى المراتب العسكرية المختلفة كالنيابة والحجابة والاستادارية وغير ذلك ، وقد أشار إليها الباحث بالفصل الثانى من الدراسة « العلماء والإدارة بمصر والشام » .

(١) د. سعيد عاشور « المجتمع المصرى » ص ٣، ١٠، ١١، د. إبراهيم طرخان « مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة » ص ٢٤٩، ايرا لابيدوس « مدن الشام فى العصر المملوكى » ص ١٣٤، د. لبيبة إبراهيم « الفتن والقلاقل » ص ٩٠.

(*) **الوظائف الدينية** : هى الوظائف كانت توليتها قاصرة على العلماء كالقضاء والحسبة وغير ذلك ، ولقد أشار إليها الباحث بشىء من التفصيل بالفصل الثانى من الدراسة « العلماء والإدارة بمصر والشام » .

(٢) د. إبراهيم طرخان « مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة » ص ٢٤٩ ـ ٢٥١، ايرا لابيدوس « مدن الشام فى العصر المملوكى » ص ١٣٤، د. يسرى زيدان « الفقهاء والعامة فى مصر والشام » ص ٤١، د. لبيبة إبراهيم « الفتن والقلاقل » ص ٩٢، ٩٣.

(٣) **الحرافيش** : مفردها حرفوش ، وهؤلاء الحرافيش كما يصفهم المؤرخون هم فقراء القاهرة وعراتها وعاطليها ، وكان هؤلاء الحرافيش ينهبون ويسرقون ، انظر : د. محمد رجب « حكايات الشطار والعيارين » ص ٩، ١٧٩، ١٨٣، دورية الهلال ، عدد سبتمبر ١٩٨١م ، د. لبيبة إبراهيم « الفتن والقلاقل » ص ٩١.

والزعر[1] ممن لا عمل ثابت لهم[2].

ولقد كان لكل طبقة من الطبقات السابقة سمات خاصة تحدد وضعها فى بنيان هذا المجتمع ونوع نشاطها، والذى يعنى الباحث طبقة العلماء ـ موضوع الدراسة ـ، وسوف يُتناول ملامح تلك الطبقة من خلال أمرين رئيسين:

أ ـ المكانة الاجتماعية للعلماء لدى السلطة والرعية.

ب ـ المستوى المعيشى للعلماء بين الزهد والتقشف وبين الثراء.

أ ـ المكانة الاجتماعية للعلماء لدى السلطة والرعية:

كان الإجلال والخوف من نفوذ العلماء لدى المصريين والشاميين هو البعد الرئيسى الذى كان يحكم العلاقة بين السلطة والعلماء، ولعل ما يؤكد ذلك تلك الإشارات التاريخية التى وصلت إلينا والتى تؤكد المعنى السابق، والتى منها ما ذكرته المصادر التاريخية أن السلطان الظاهر[3] بيبرس «ت ٧٧٦هـ» عندما علم بوفاة العالم العز بن عبد السلام[4] «ت ٦٦٠هـ» قال: «اليوم استقر أمرى فى المُلك لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس أخرجوا عليه لانتزع

---

(١) **الزعر**: يقال زعر ريشه أو شعره: قل وتفرق فانكشف الجلد، وبان، وزعر الرجل قل خيره، والأزعر جمعه زعر وزعران، وهو اللص الخاطف، والزعارة: شراسة الخُلق، والزُعر فى العصر المملوكى عصابات منظمة كانت تقوم بالسلب والنهب والقتل، انظر: د. محمد رجب «حكايات الشطار» ص ٨، ١٩٠، أكرم حسن «دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين» ص ٩٥، ٩٦، ٩٧، الشركة المتحدة للطباعة، ط ١ (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م).

(٢) د. محاسن محمد «الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية» ص ٢٣، ٢٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م، د. البيومى إسماعيل «مصادرة الأملاك» ص ٢٨٩، د. إبراهيم طرخان «مصر فى عصر دولة المماليك» ص ٢٤٩ ـ ٢٥١، د. ليبية إبراهيم «الفتن والقلاقل» ص ٩١.

(٣) الظاهر بيبرس: هو المؤسس الحقيقى لدولة المماليك فى مصر والشام، ولقد شغل كرسى السلطنة على مدار سبعة عشر عام، توفى عام ٧٧٦هـ، انظر: المقريزى «السلوك» ح ١ ص ٦٣٥.

(٤) العز بن عبد السلام: عبد العزيز بن عبد السلام، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء مصر، وخطابة الجامع بدمشق، وكان سلطان العلماء فى عصره، توفى ٦٦٠هـ، انظر: السبكى «طبقات الشافعية الكبرى» ح ٨ ص ٢٠٩.

المُلك منى »[١] ، وكان السلطان الناصر بن قلاوون[٢] « ت ٧٤١هـ » يقول : « إنى لا أخاف من أحد إلا من العالم شمس الدين الحريرى[٣] « ت ٧٤٥هـ » »[٤] .

كذلك عجزت السلطة المملوكية عن المساس بالعالم أبو هريرة ابن النقاش[٥] « ت ٨١٩هـ » ـ خطيب جامع ابن طولون[٦] ـ رغم تنديد هذا العالم بمظالم السلطة المملوكية من فوق منبر جامع ابن طولون ، وذلك بسبب حُبّ المصريين له[٧] .

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما ذكرته المصادر التاريخية أن السلطان برسباى[٨] « ت ٨٤١هـ » ، أرسل مرسومًا لنائبه بدمشق عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م بعدم الاقتراب أو المساس من العالم نجم الدين الحسبانى[٩] رغم شكاوى أمراء الشام بأنه يُجاهر بمظالم المماليك وذلك لالتفاف

---

(١) السبكى « طبقات الشافعية » ح ٨ ص ٢١٥.

(٢) الناصر بن قلاوون : هو من أقوى سلاطين دولة المماليك البحرية ، تولى الحكم ثلاث مرات ، الأولى عام ٦٩٣هـ ، واستمر سنة واحدة ثم عزل ، ثم تولى ٦٩٨هـ حتى عام ٧٠٨هـ ، ثم أعيد للحكم عام ٧٠٩هـ ، واستمر على كرسى السلطنى حتى وفاته عام ٧٤١هـ ، وكانت هذه الولاية الثالثة أعظم تلك الولايات ، وازدهرت خلالها أحوال مصر والشام ، انظر : المقريزى « السلوك » ح ٢ ص ٥٢٩.

(٣) شمس الدين الحريرى : محمد بن عثمان ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى قضاء دمشق ، ثم قضاء القاهرة ، ولد عام ٦٥٣هـ ، توفى ٧٢٨هـ ، انظر : محيى الدين القرشى « الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية » ح ٣ ص ٢٥٠.

(٤) ابن بطوطة « رحلة ابن بطوطة » ص ٤٥.

(٥) أبو هريرة بن النقاش : عبد الرحمن بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى خطابة جامع ابن طولون ، توفى ٨١٩هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٤١.

(٦) **جامع ابن طولون** : أنشأه السلطان أحمد بن طولون عام ٢٦٥هـ ، وهو يقع شرقى حىّ السيدة زينب جنوبى القاهرة ، وكان بمثابة جامعة علمية يُدرس بها العلوم المختلفة فى العصر المملوكى ، انظر : د. كرم حلمى « المسجد ودوره الحضارى فى ضوء مكانة جامع ابن طولون » ص ١٤٢.

(٧) الغزى « بهجة الناظرين فى تراجم الشافعية المتأخرين » ص ١٢٦، ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٧ ص ٢٣٢، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ١٤١.

(٨) برسباى : سبق التعريف به بالفصل الأول ، انظر : ص ١٠ .

(٩) نجم الدين الحسبانى : عمر بن حجى ، تفقه بشيوخ عصره ، تولى قضاء دمشق إحدى عشر عامًا ـ على فترات متفاوتة ـ توفى عام ٨٣٠هـ ، انظر : ابن طولون « قضاة دمشق » ص ١٤٣.

أهالى دمشق حوله[١] .

وما كان السلطان قايتباى[٢] « ت ٩٠١هـ » يقوم به من التودد والتواضع للعالم أمين الآقصراى[٣] بالرغم من شدة هجومه عليه والتنديد بسياساته خوفًا من نفوذه لدى المصريين[٤] .

أمّا عن مظاهر إجلال السلطة للعلماء فى العصر المملوكى الألقاب التى أطلقتها على العلماء ، وكانوا يُخاطبون بها ، وكانت تلك الألقاب على خمس درجات ، الدرجة الأولى الجناب وهى على مرتبتين ، المرتبة الأولى الجناب الكريم ، والمرتبة الثانية الجناب العالى وذلك خاص بالقضاة ، والدرجة الثانية هى المجلس العالى ، وهى للقضاة أيضًا ، والدرجة الثالثة المجلس السامى ، وهى للقضاة والعلماء وأرباب الوظائف الدينية من العلماء كوكيل بيت المال ، وقضاة العسكر ومفتو دار العدل ، والمحتسب ، والمدرس ، والدرجة الرابعة « مجلس القاضى » وهى للقضاة والعلماء ، والدرجة الخامسة « القاضى »[٥] ، ومن تلك الألقاب التى أوردها المؤرخون للعلماء ـ أيضًا ـ « سيد العلماء والحكام » ، و « أوحد العلماء الأعلام » ، و « جمال العلماء »[٦] .

أمّا عن المكانة الاجتماعية للعلماء لدى المصريين والشاميين ، فلقد شهد مؤرخو العصر المملوكى أن العلماء كانوا يتمتعون بمكانة عالية ومحبة جارفة فى قلوب المصريين والشاميين ، وذلك ما تؤكده العبارات التى أوردها المؤرخون فى ثنايا تراجم علماء مصر

---

(١) ابن طولون « قضاة دمشق » ص ١٤١.

(٢) قايتباى : سبق التعريف به بالفصل الأول ، انظر : ص ٢٢ .

(٣) أمين الدين الآقصراى : يحيى بن محمد ، كان من كبار علماء الحنفية بمصر ، درس وأفتى ، توفى عام ٨٨٠هـ ، انظر : ابن إياس « بدائع الزهور » ح ٣ ص ١٠٧.

(٤) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١٠ ص ٢٤١.

(٥) الخالدى « المقصد الرفيع » ص ١٧١، ابن ناظر الجيش « تثقيف التعريف » ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩، القلقشندى «صبح الأعشى» ح ٥ ص ٤٩٥ .

(٦) عبد الوهاب حمودة « صفحات من تاريخ مصر فى عصر السيوطى « ص ٨٨، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، « د. ت » ، حسن الباشا « الألقاب والمراسيم » ص ٢٠١.

والشام، والتى منها «أحبه العامة»، و «أثنى الناس عليه»، «كان الناس يحبونه ويهرعون إليه فى كافة أمورهم ويزدحمون ببابه»، «حملت جنازته على الرؤوس ولم يستطع أحد من كثرة الزحام الوصول إليها»، و «وقع النوح عليه فى سائر الأقطار»، ومن أمثال هؤلاء العلماء الذين أورد المؤرخون فى تراجمهم العبارات السابقة، «**من مصر**»، سعد الدين الديرى[١][٢]، وأمين الآقصراى[٣][٤]، وابن حجر العسقلانى[٥][٦]، وبدر الدين الحكرى[٧]، وجمال الدين[٨] البساطى[٩].

ومن علماء دمشق، تقى الدين[١٠] الحصنى[١١]، .....

---

(١) سعد الدين الديرى: سعد بن محمد، تفقه بشيوخ عصره، حتى صار رأس المذهب الحنفى فى عصره، ولى قضاء مصر، توفى ٨٦٧هـ، انظر: ابن تغرى «النجوم الزاهرة» ح ١٦ ص ٢٨٥، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ٢٥٠.

(٢) ابن شاهين «الروض الباسم» ص ٥٨، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٤ ص ٢٥٠.

(٣) أمين الآقصراى: انظر: ص ٢٠٩.

(٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ٢٤٢، ابن إياس «بدائع الزهور» ح ٣ ص ١٠٧.

(٥) ابن حجر العسقلانى: أحمد بن على، تفقه بشيوخ عصره، برع فى علم الحديث حتى لُقب بأمير المؤمنين فى الحديث النبوىّ، ولى قضاء مصر على مذهب الشافعية، توفى ٨٥٢هـ، انظر: ابن الحمصى «حوادث الزمان» ح ١ ص ٩٠، ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٢ ص ١٧.

(٦) البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ٥٦، ابن الحمصى «حوادث الزمان» ح ١ ص ٩٠، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٤٠.

(٧) ابن مفلح «المقصد الأرشد فى ذكر أصحاب أحمد» ح ٢ ص ٤٨١، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ١٨١.

(٨) جمال الدين البساطى: يوسف بن خالد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء المالكية بمصر، توفى ٨٢٩هـ، انظر: ابن حجر «رفع الأصر عن قضاة مصر» ص ٤٧٦، تحقيق د. على محمد، مكتبة الخانجى، ط ١ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

(٩) ابن حجر «رفع الأصر» ص ٤٧٦.

(١٠) تقى الدين الحصنى: أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، حتى صار شيخ الشافعية بدمشق، توفى ٨٢٩هـ، انظر: المقريزى «العقود الفريدة» ح ١ ص ١٨٢.

(١١) ابن خطيب الناصرية «الدر المنتخب فى تكملة تاريخ حلب» ص ٢٠٤، البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ١٧٧، ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ح ٢ ص ٣٠٨.

وأبو بكر بن قاضى[١] عجلون[٢]، وبرهان الدين[٣] بن مفلح[٤].

ومن علماء القدس، شهاب الدين[٥] الرملى[٦]، ونجم الدين[٧] ابن جماعة.

ب ـ المستوى المعيشى للعلماء بين الزهد والتقشف وبين الثراء:

لقد كان أهم الموارد المالية للعلماء فى العصر المملوكى تتمثل فى أمرين:

أولهما « مرتباتهم[٨] على الوظائف الرفيعة التى كانت تسندها السلطة المملوكية إليهم من قضاء[*] وحسبة وغير ذلك، ولقد ذكرت لنا المصادر أن مرتب القاضى خمسين دينار شهريًا، هذا فضلاً عن راتب عينى من الأرز واللحم والعسل ونحو ذلك، كذلك ما كان يأخذه القاضى من راتب نظير قيامه بالإشراف على الأوقاف، وكان ذلك الراتب من ريع الأوقاف[٩].

---

(١) أبو بكر بن قاضى عجلون: أبو بكر بن عبد الله، تفقه بشيوخ عصره، انتهت إليه مشيخة الإسلام ورئاسة الشافعية بدمشق، توفى ٩٢٨هـ، انظر: الغزى «الكواكب السائرة» ص ١١٥.

(٢) الغزى «الكواكب السائر» ص ١١٥.

(٣) برهان الدين بن مفلح: إبراهيم بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، انتهت إليه مشيخة الحنابلة بدمشق، تولى قضاء الحنابلة بدمشق، توفى ٨٠٣هـ، انظر: ابن طولون «قضاة دمشق» ص ٢٨٨، ابن مكى «السحب الوابلة» ح ١ ص ٦٧.

(٤) ابن مفلح «المقصد الأرشد» ح ١ ص ٣٠، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ١٥٢.

(٥) شهاب الدين الرملى: أحمد بن حسين، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، توفى عام ٨٤٤هـ، انظر: مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليد» ح ٢ ص ١٧٤.

(٦) البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ٦٧، مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ١٧٤.

(٧) الغزى «الكواكب السائرة» ص ٢٥.

(٨) هذه الرواتب التى كان يتقاضها العلماء وردت فى كتب «النُظم المملوكية» بشكل مقتضب موجز دون تفصيل.

(*) تحدث البحث عن تلك الوظائف التى تولاها العلماء من قبل السلطة المملوكية بالفصل الثانى من الدراسة «العلماء والإدارة بمصر والشام».

(٩) العمرى «المسالك والممالك» ص ٤٩، ابن كنان «حدائق الياسمين» ص ٩٦، جمال جرجس=

أمّا كاتب السر[١] ، فكان راتبه مائة وعشرون دينار ، هذا فضلًا عن بعض الإقطاعات التى كانت السلطة تمنحها له[٢] .

أمّا المحتسب ، فكان راتبه حوالى ثلاثين دينار شهريًا ، فلقد ذكرت المصادر أن راتب صدر الدين العجمى[٣] الذى كان يتولى حسبة القاهرة عام ٨٢٤هـ/١٤٢١م ثلاثون دينار[٤] .

أمّا المُدرس ، فكان السلطان يخصص له خمسين دينار شهريًا ، هذا فضلًا عن الراتب الذى كان يأخذه المدرس من ريع الأوقاف الموقوفة على المؤسسات العلمية من مدارس ومساجد[٥] .

ومرتبات العلماء ـ سابقة الذكر ـ تعد ضئيلة إذا قورنت برواتب الأمراء المماليك ، فلقد كان كبار الأمراء تتراوح مرتباتهم ما بين ثلاثة وأربعة آلاف دينار ، أما صغار الأمراء فكانت مرتباتهم تتراوح ما بين ألف وألفين دينار[٦] .

= « القضاء فى العصر المملوكى » ص ٨١، د. محمد محمد أمين « الأوقاف فى عصر سلاطين المماليك » ص ١٣٤، د. عبد الخالق حسن « النظم القضائية » ص ٣٠٤، د. البيومى إسماعيل « النظم المالية » ص ٢٦٧.

(١) **كاتب السر** : كتابة السر هى من أرفع الولايات الديوانية التى تولاها العلماء فى العصر المملوكى ، وهى نسبة لكاتب السر ، وهو رئيس ديوان الإنشاء ، ولقد أشار الباحث إلى تلك الوظيفة بشىء من التفصيل بالفصل الثانى من الدراسة « العلماء والإدارة بمصر والشام » .

(٢) سند أحمد « البريد فى عصر دولة سلاطين المماليك البحرية » ص ٥٧، ماجستير ، آداب عين شمس ، ٢٠٠٠م .

(٣) صدر الدين العجمى : أحمد بن محمود ، من أبرز فقهاء الحنفية بمصر فى عصره ، درس ، وأفتى ، تولى الحسبة مرارًا ، توفى ٨٣٣هـ ، انظر : ابن طولون « الغرف العلية » ص ١٥٨، ابن تغرى « المنهل الصافى » ح ٢ ص ٢١٢.

(٤) ابن تغرى « النجوم الزاهرة » ح ١٤ ص ٨.

(٥) ابن العجمى « كنوز الذهب » ح ٢ ص ١٦٥، ١٦٦، العمرى « المسالك والممالك » ص ٤٩، د. عادل عبد الحافظ « نيابة حلب » ص ١٩٧، ايرا لابيدوس « مدن الشام فى العصر المملوكى » ص ٢١٦.

(٦) د. البيومى إسماعيل « النظم المالية » ص ٢٦٧.

obeikandi.com

أما ثانى الموارد المالية للعلماء فى العصر المملوكى ، ما كان يتحصل عليه العلماء من ريع[*] الأوقاف الموقوفة على المدارس والمساجد نظير قيامهم بوظيفة التدريس أو الخطابة بهذه المدارس والمساجد[1] .

أما إذا أردنا الحديث عن ملابس العلماء ـ التى يرى أحد الباحثين أنها كانت تحمل معنى اجتماعيًا مهمًا فى العصر المملوكى[2] ـ ، فتذكر لنا المصادر أن العلماء كانت لهم ملابس تميزهم عن غيرهم ، فلقد كان العلماء يلبسون العمائم الكبار ، وكان من بين هؤلاء العلماء من يجعل طرف عمامته على هيئة ذؤابة طويلة يرسلها بين كتفيه ، كما كانوا يرتدون الدِلْق ، وهو رداء كالعباءة متسع الأكمام طويلها مفتوحًا فوق كتفيه بلا تفريج ، وكان هذا الدلق مسترسلًا حتى القدمين ـ أى سابلًا ـ ، وكان كبار العلماء كقاضى القضاة يتميزون بقطعة أخرى من الملابس وهى « الطرحة » ، وكانت عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ، ويلتف حول الرقبة ويسترسل على الكتفين[3] .

* العلماء والزهد وحياة التقشف :

لقد آثرت طائفة كبيرة من علماء مصر والشام فى القرن التاسع حياة الزهد[4] والتقشف ،

(*) لم تذكر لنا المصادر التاريخية نسبة تقريبية كان يتحصل عليها العلماء من ريع الأوقاف الموقوفة على المدارس والمساجد نظير قيامهم بوظيفة التدريس أو الخطابة بهذه المدارس والمساجد .

(١) العمرى « المسالك والممالك » ص ٤٩، د. عادل عبد الحافظ « نيابة حلب » ص ١٩٧، ايرالا بيدوس « مدن الشام فى العصر المملوكى » ص ٢١٦.

(٢) آدم صبرة « الفقر والإحسان فى مصر » ص ١٨١.

(٣) القلقشندى « صبح الأعشى » ح ٤ ص ٤١، ٤٢، العمرى « المسالك والممالك » ص ٥٠، ٥١، د. سعيد عاشور « المجتمع المصرى » ص ٢١٣، ٢١٤، ل . أ . ماير « الملابس المملوكية » ص ٨٩ ـ ٩٦، ترجمة صالح الشيتى ، مراجعة د. عبد الرحمن فهمى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٢م ، محمد أحمد «تطور الملابس فى المجتمع المصرى من الفتح الإسلامى إلى نهاية العصر الفاطمى» ص ٢١٨، دكتوراة ، آداب القاهرة ، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

(٤) **الزهد** : الزهد خلاف الرغبة ، والزهد فى الشىء يعنى عدم إرادته وعدم قصده ، ومنهج الرسل يقوم أساسًا على الزهد ، والزهد المحمود شرعًا هو ترك ما لا ينفع العبد فى الآخرة ، أو هو ترك مالا يعينك على الآخرة ، انظر : د. محمد السيد الجليند « من قضايا التصوف فى ضوء الكتاب والسنة » ص ٢٤، ٢٥، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، ١٩٩٠م .

فى الملبس، والمطعم والمركب والمسكن، وذلك ما أثبته مؤرخو العصر المملوكى، حيث كانت عبارة «كان زاهدًا مُتقشفًا»، و «جمع بين العلم والعمل والزهد»، «وكان فى الزهد والتقشف والورع آية»، من العبارات التى كثيرًا ما كان مؤرخو(*) العصر المملوكى يذيلوا بها تراجم علماء مصر والشام فى القرن التاسع الهجرى.

فمن علماء مصر ـ على سبيل المثال ـ الذين ذكرت المصادر أنهم كانوا يحيون حياة الزهد والتقشف، برهان الدين البيجورى(١) «ت ٨٢٥هـ»(٢)، وسراج الدين أبو حفص(٣) «ت ٨٢٩هـ»(٤)، وزين الدين القلمطائى(٥) «ت ٨٥٦هـ»(٦)، والشهاب أبو العباس(٧) القنائى «ت ٨٥٨هـ»(٨)، والشهاب أحمد(٩) «ت ٨٥٣هـ»(١٠)، ونور الدين أبو

(*) لم توضح المصادر التاريخية مشاهد وصور من حياة الزهد والتقشف التى كان يحياها العلماء فى العصر المملوكى.

(١) برهان الدين البيجورى: إبراهيم بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه، وكان من كبار علماء الشافعية فى عصره، درس، توفى عام ٨٢٥هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ١٧، ابن تغرى «النجوم الزاهرة» ح ١٤ ص ٢٩١.

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ١٧، ابن تغرى «النجوم الزاهرة» ح ١٤ ص ٢٩١.

(٣) سراج الدين أبو حفص: عمر بن على، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه، والتفسير، درس وأفتى، انتهت إليه رئاسة الحنفية فى عصره، توفى عام ٨٢٩هـ، انظر: ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ٣٠٤.

(٤) ابن حجر «إنباء الغمر» ح ٨ ص ١١٥، ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ٣٠٤.

(٥) زين الدين القلمطائى: عمر بن قديد، تفقه على شيوخ عصره، درس وكان من كبار علماء الحنفية فى عصره، توفى ٨٥٦هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١١٣.

(٦) ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ٣١٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١١٣.

(٧) الشهاب أبو العباس القنائى: أحمد بن عباد، تفقه على شيوخ عصره، درس، توفى ٨٥٨هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣٢٠.

(٨) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣٢٠.

(٩) الشهاب أحمد: أحمد بن على، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه، درس، توفى عام ٨٥٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٦.

(١٠) السخاوى «وجيز الكلام» ح ٢ ص ٦٣٦، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٦.

obeikandl.com

الحسن[1] «ت ٨١٣هـ»[2]، وشهاب الدين[3] أبو الفتح «ت ٨٣٥هـ»[4]، وشهاب الدين[5] الأبشيطى «ت ٨٨٣هـ»[6].

ومن علماء دمشق ـ على سبيل المثال ـ الذين ذكرت المصادر أنهم كانوا يحيون حياة الزهد والتقشف، تقى الدين الحصنى[7] «ت ٨٢٩هـ»[8]، وابن عروة[9] «ت ٨٣٧هـ»[10]، وعلاء الدين[11] أبو الحسن «ت ٨٤٤هـ»[12]، وعز الدين[13] أبو

---

(١) نور الدين أبو الحسن: على بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، كان عالما بالفقه والتفسير، درس وأفتى، توفى ٨١٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ١٦٣.

(٢) السخاوى «وجيز الكلام» ح ١ ص ٤٠٨، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ١٦٣، ١٦٤.

(٣) شهاب الدين أبو الفتح: أحمد بن عثمان، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، توفى ٨٣٥هـ، انظر: ابن طولون «الغرف العلية فى تراجم الحنفية» ص ١٢١، ١٢٢.

(٤) ابن طولون «الغرف العلية» ص ١٢١، ١٢٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٣٧٨.

(٥) شهاب الدين الأبشيطى: أحمد بن إسماعيل، تفقه على شيوخ عصره، درس، توفى ٨٨٣هـ، انظر: البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ٥٩.

(٦) ابن مكى «السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة» ح ١ ص ١٠١، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٣٥.

(٧) تقى الدين الحصنى: أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، حتى صار شيخ الشافعية بدمشق، توفى ٨٢٩هـ، انظر: المقريزى «العقود الفريدة» ح ١ ص ١٨٢.

(٨) المقريزى «العقود الفريدة» ح ١ ص ١٨٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨١.

(٩) ابن عروة: على بن حسين، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، توفى عام ٨٣٧هـ، انظر: ابن عبد الهادى «ذيل ابن عبد الهادى على طبقات ابن رجب» ص ٦٢.

(١٠) ابن عبد الهادى «ذيل ابن عبد الهادى» ص ٦٢، السخاوى «الضوء» ح ٥ ص ٢١٤.

(١١) علاء الدين أبو الحسن: على بن عثمان، تفقه على شيوخ عصره، درس، توفى عام ٨٤٤هـ، انظر: ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ١١١، ١١٢.

(١٢) ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ١١١، ١١٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ٢٥٩.

(١٣) عز الدين أبو البركات: عبد العزيز بن علاء الدين أبو الحسن، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء دمشق والقدس، توفى عام ٨٤٦هـ، انظر: مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢٦٢.

البركات « ت ٨٤٦هـ »[١] ، وزين الدين[٢] ابن داود « ت ٨٥٦هـ »[٣] .

ومن علماء حلب ـ على سبيل المثال ـ أبو بكر بن نصر[٤] « ت ٨٤٦هـ »[٥] ، وشهاب الدين أبو العباس[٦] « ت ٨٧٢هـ »[٧] .

ومن علماء القدس ـ على سبيل المثال ـ شهاب الدين[٨] ابن أرسلان « ت ٨٤٤هـ »[٩] ، والزين أبو الجود[١٠] « ت ٨٦٧هـ »[١١] .

يتضح لنا مما سبق أن العلماء ـ فى غالبهم ـ كان يحيون الزهد والتقشف ، وليس كما ذكر الدكتور قاسم عبده قاسم أنهم « كانوا يغالون فى إظهار مظاهر الترف والنعيم فيركبون الخيول المسومة ، ويرتدون الثياب الغالية ، ويغشون المجالس السلطانية ومجالس الأمراء »[١٢] .

---

(١) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٦٢.

(٢) زين الدين ابن داود : عبد الرحمن بن أبى بكر ، تفقه على شيوخ عصره ، وكان زاهدًا آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ٦٢.

(٣) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ٦٢.

(٤) أبو بكر بن نصر : تفقه على شيوخ عصره ، كان من علماء حلب وزهادها ، توفى ٨٤٦هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١١ ص ٩٦.

(٥) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١١ ص ٩٦.

(٦) شهاب الدين أبو العباس : أحمد بن أبى بكر ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، وأفتى ، وانتهت إليه رئاسة العلم بحلب ، توفى ٨٧٢هـ ، انظر : ابن طولون « الغرف العلية فى تراجم الحنفية » ص ٩٠.

(٧) ابن طولون « الغرف العلية » ص ٩٠.

(٨) ابن أرسلان : أحمد بن حسين ، تفقه على شيوخ عصره ، له مؤلفات فى التفسير ، والحديث ، والفقه ، توفى عام ٨٤٤هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٨٥.

(٩) السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٨٥.

(١٠) الزين أبو الجود : ماهر بن عبد الله ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، توفى ٨٦٧هـ ، انظر : السخاوى « الضوء » ح ٦ ص ٢٣٦، السخاوى « وجيز الكلام » ص ٧٥٣.

(١١) السخاوى « وجيز الكلام » ح ٢ ص ٧٥٣، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٦ ص ٢٣٦.

(١٢) د. قاسم عبده قاسم « بعض مظاهر الحياة اليومية فى عصر سلاطين المماليك » ص ١٥.

obeikandl.com

٢ ـ تطهير المجتمع من الأمراض الاجتماعية الخبيثة والرذائل الأخلاقية

إن المجتمع المصرى والشامى عصر سلاطين المماليك عانى من الأمراض الاجتماعية الخبيثة والرذائل الأخلاقية، كتعاطى الخمر والحشيش[١]، وممارسة البغاء، والشذوذ الجنسى[٢].

ولقد كافح العلماء لتنقية المجتمع المصرى والشامىّ من تلك الأمراض والرذائل، ففى مصر، تذكر لنا المصادر التاريخية سعى العالم سراج الدين[٣] البلقينى «ت ٨٠٥هـ» لدى السلطة المملوكية لإبطال ضمان المغانى، وهو أنه من حق أى امرأة أن تمارس البغاء مقابل أن تدفع ضريبة معينة للدولة، وذلك أن السلطة المملوكية كانت قد اعترفت بالبغاء، وفرضت على البغايا ضرائب مقررة، ولتحصيل تلك الضرائب جعلت الدولة للبغايا ضامنة، تذهب إليها محترفة البغاء، لتسجيل اسمها عندها، ولقد استجابت السلطة المملوكية لذلك العالم الفاضل وأبطلت ضمان المغانى[٤]؛ تهدئة لغضب العلماء الذين أنكروا ذلك الأمر، غير أن السلطة المملوكية سرعان ما تعود إلى البغاء وفرض ضمان المغانى، وذلك بسبب شره تلك

---

(١) **الحشيش**: هو نبات مخدر، يُسمى لدى الأطباء بـ «القنب الهندى»، ويذكر بدر الدين الزركشى «ت ٧٩٤هـ» أن ذلك النبات ظهر فى أواخر المائة السادسة للهجرة حين ظهرت دولة المغول «التتار»، ولقد شاع هذا النبات فى العصر المملوكى، انظر: بدر الدين الزركشى «محمد بن بهادر» «ت ٧٩٤هـ» «زهر العريش فى تحريم الحشيش» ص ١، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم (٧٢٥ فقه تيمور) ومكروفيلم (١٢٤٩٤)، د. سعيد عاشور «المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك» ص ٢٥٢.

(٢) مجهول «حوادث الزمان» ص ١٤١، ابن طولون «مفاكهة الخلان» ص ٢٠، ١٣٩، ابن تغرى «النجوم الزاهرة» ح ١٠ ص ١٢٩، المقريزى «الخطط» ح ٢ ص ١٨٦، عز الدين المقدسى «ت ٨٢٠هـ» «المفاخرات الباهرة بين عرائس متنزهات القاهرة» ص ٢١، ٥٣، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٩٩٩م، حبيب زيات «دور القمار فى الإسلام» ص ١٧٤، مجلة المشرق، السنة ٣٦، عام ١٩٣٨م.

(٣) سراج الدين البلقينى: عمر بن رسلان، تفقه على شيوخ عصره، درس، وأفتى، وهو من كبار علماء الشافعية بمصر، توفى ٨٠٥هـ، انظر: السخاوى «الضوء» ح ٦ ص ٨٥.

(٤) جلال الدين البلقينى «ترجمة سراج الدين البلقينى» ص ٦، ابن شهبة «الإعلام» ص ٣٢٢، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ٨٩.

السلطة إلى الأموال أيًّا كان مصدرها ، ويستمر ضمان المغانى من الموارد غير الشرعية لبيت المال عصر سلاطين المماليك ، كما أوضحت المصادر التاريخية[١] .

كما قام فقهاء دمياط[٢] ـ بمساندة الأهالى ـ عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م بإراقة الخمور بالخمارات[٣] .

كما تذكر لنا المصادر التاريخية فى ثنايا تراجم علماء مصر ـ فى عبارات مقتضبة موجزة ـ أمثال ولى الدين المحلى[٤] « ت ٨٨٢هـ » ، وجمال الدين التعزى[٥] « ت ٨١٦هـ » ، وشهاب الدين المنوفى[٦] « ت ٩٢٧هـ » ، أنهم طهروا المجتمع المصرى من ظاهرة البغاء وتعاطى الخمور[٧] .

ومن المنكرات ـ أيضًا ـ التى حاربها علماء مصر ، ما كان يقوم به بعض المصريين من أرباب المجون والخلاعة ، حيث كان يخرج هؤلاء وقت فيضان النيل ـ بشكل خاص ـ إلى بركة الرطلى[٨] ،

---

(١) د. البيومى إسماعيل « النظم المالية » ص ٢٠٠.

(٢) **دمياط** : مدينة على ضفة أحد فرقى النيل ، وهى موضع غِرَّة للعدو من البحر ، انظر : العمرى « مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار » ص ٩٣.

(٣) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٨ ص ١٤٩.

(٤) ولى الدين المحلى : أحمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى خطابة الجامع الغمرى بالمحلة ، وكان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، توفى ٨٨٢هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٢ ص ٧٤.

(٥) جمال الدين التعزى : محمد بن عمر ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء بلدته « تعز » ، توفى ٨١٦هـ ، انظر : ابن العماد « شذرات الذهب » ح ٧ ص ١٢٣.

(٦) شهاب الدين المنوفى : شهاب الدين أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء بلدته منوف العليا ، توفى ٩٢٧هـ ، انظر : الغزى « الكواكب السائرة » ص ١٥٦.

(٧) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٧ ص ١٤٠ ، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٧٤ ، الغزى « الكواكب السائرة » ص ٥٦.

(٨) **بركة الرطلى** : كانت بركة الرطلى من أحسن متنزهات مصر فى العصر المملوكى ، وكان طول البركة نحو ٣٥٠ مترًا ، ومتوسط عرضها ١٠٠ مترًا ، ومساحتها نحو ١٩ فدانًا ، وكانت تلك البركة تمتلئ بالماء وقت فيضان النيل ، فتدخلها مراكب النزهة ، وفى فصل الشتاء والربيع ، تزدهى البركة بمنظر أخاذ من نحو الأزهار ، وكان المصريون يأتون إلى البركة أيام أجازاتهم ، ولقد مارس أرباب المجون والخلاعة بتلك =

وجزيرة حليمة[١] ، وهناك يمارسون المنكرات من تعاطى الخمور والحشيش والزنا ونحو ذلك ، كما حدث على سبيل المثال ـ عام ٨٧٩هـ/١٤٧٤م[٢] ، ولقد تصدى علماء مصر لهذه الظاهرة الخبيثة ، فها هو العالم زكريا الأنصارى[٣] « ت ٩٢٦هـ » يدعو المصريين ـ خلال خطبة الجمعة ـ إلى اجتناب تلك المنكرات التى كان يقبل عليها المصريون وقت فيضان النيل ببركة الرطلى ، وجزيرة حليمة ، فهو يُحذر من خلال الموعظة والنصيحة أن يميل المصريون إلى فعل تلك المنكرات التى يمارسها من لا خلاق لهم ولا دين بتلك الأوكار الفاسدة[٤] .

أمّا بلاد الشام ، ففى دمشق تذكر لنا المصادر التاريخية عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م أن علماء دمشق بقيادة نجم الدين الحسبانى[٥] ـ بمساندة الأهالى ـ أراقوا الخمور بالخمارات[٦] .

= البركة المنكرات من تعاطى الخمور ، والحشيش ونحو ذلك ، ولقد درست تلك البركة أيام الخديوى إسماعيل « ت ١٨٩٥م » ، ويشغلها الآن المنطقة المحصورة بين شارع الظاهر شمالًا وغربًا ، وشارع غالى ، وما فى امتداده جنوبًا وخط رأسى موازى لشارع البكرية شرقًا ، انظر : عز الدين المقدسى « المفاخرات الباهرة » ص ١٥، ٢١، ٢٢، المقريزى «المواعظ والاعتبار» ح ٣ ص ٥٤٠ .

(١) **جزيرة حليمة** : تقع هذه الجزيرة بين بولاق وجزيرة أروى ، ولقد ظهرت تلك الجزيرة للوجود عام ٧٤٧هـ ، وصارت منذ ذلك الوقت متنزهًا للمصريين ، ولقد قصدها أرباب المجون والخلاعة ، ومارسوا فيها المنكرات ، ولقد اتصلت تلك الجزيرة بجزيرة أروى بواسطة طرح النيل وصارت جزيرة واحدة ، وأصبح اسم الجزيرة الوسطى علما عليها فى الوثائق والمصادر التاريخية ، ومنذ أيام محمد على « ١٢٢٠ ـ ١٢٦٥هـ/ ١٨٠٥ ـ ١٨٤٨م » صار الجزء الجنوبى منها يعرف باسم الجزيرة ، والجزء الشمالى يعرف باسم « الزمالك » ، انظر : المقريزى « الخطط » ح٣ ص ٥٩٤، عز الدين المقدسى « المفاخرات الباهرة » ص ٥٣، ٥٤.

(٢) مجهول « حوادث الزمان » ص ١٤١.

(٣) زكريا الأنصارى : زكريا بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، وتولى قضاء الشافعية بمصر ، توفى ٩٢٦هـ ، انظر : الغزى « الكواكب السائرة » ص ١٩٦.

(٤) عبد الوهاب حمودة « صفحات من تاريخ مصر عصر السيوطى » ص ١٠٦، د. محمود رزق « النثر الفنى عصر المماليك » ص ٤١٥، ماجستير ، دار العلوم ، القاهرة ، ١٩٥٥م .

(٥) نجم الدين الحسبانى : عمر بن حجى ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الشافعية بدمشق ، توفى ٨٣٠هـ ، انظر : ابن طولون « قضاة دمشق » ص ١٤١.

(٦) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٨ ص ١٢.

وفى عام ٨٥٩هـ/١٤٥٤م أعاد نائب دمشق قانباى الحمزاوى[١] مكس المغانى[٢]، فلما سمع علماء دمشق بذلك، توجهوا إلى شمس الدين البلاطنسى[٣]، الذى كتب إلى النائب «إن إعادة المكس مصادمة للشريعة ومخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع العلماء، وإن الناس ما حكموكم فيهم إلا بالإسلام فإذا تُرِك الإسلام زال الحكم»، فارتاع النائب لذلك وأبطل المكس[٤].

كما قام تقى الدين ابن قاضى[٥] عجلون عام ٨٨٥هـ/١٤٨٠م، وعام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م، وعام ٨٩٩هـ/١٤٩٣م بتطهير المجتمع الدمشقى من البغاء وتعاطى الخمور، حيث كان يتوجه هذا العالم على رأس علماء دمشق ـ يساندهم الأهالى ـ إلى تلك الأماكن التى يُمارس فيها الرذائل فيقوم بإزالتها[٦].

ومن علماء دمشق ـ أيضًا ـ التى ذكرت المصادر التاريخية فى ثنايا تراجمهم ـ فى عبارات مقتضبة موجزة ـ أنهم طهروا المجتمع الدمشقى من تلك المنكرات قوام الدين الرومى[٧] «ت ٨٥٨هـ»، وزين الدين[٨] خطاب «ت ٨٧٨هـ»[٩].

---

(١) قانباى الحمزاوى: تولى نيابة دمشق عام ٨٥٩هـ، ونيابة حلب، وحماة، وطرابلس، وكان ظالمًا، توفى ٨٦٣هـ، انظر: ابن طولون «إعلام الورى» ص ٧٤، ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٩ ص ١٨، ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ١٤٢.

(٢) **مكس المغانى**: انظر: ص ٢١٧.

(٣) شمس الدين البلاطنسى: محمد بن عبد الله، تفقه بشيوخ عصره، درس، أفتى، توفى عام ٨٦٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ٨٦.

(٤) البقاعى «إظهار العصر».

(٥) تقى الدين بن قاضى عجلون: أبو بكر بن عبد الله، تفقه بشيوخ عصره، انتهت إليه مشيخة الإسلام ورئاسة الشافعية بدمشق، توفى ٩٢٨هـ، انظر: الغزى «الكواكب السائرة» ص ١١٥.

(٦) ابن طولون «مفاكهة الخلان» ص ٣٠، ٣٢، ابن الحمصى «حوادث الزمان» ح ١ ص ٢٨٧، ٣٥٧.

(٧) قوام الدين الرومى: قوام الدين محمد الرومى، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء دمشق، توفى ٨٥٨هـ، انظر: ابن الحمصى «حوادث الزمان» ح ١ ص ١٢٩.

(٨) زين الدين خطاب: خطاب بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، حتى صار فقيه الشام ومفتيها، كان كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، انظر: البصروى «تاريخ البصروى» ص ٦٠.

(٩) البقاعى «إظهار العصر»، ابن الحمصى «حوادث الزمان» ح ١ ص ١٢٩.

obeikandl.com

وفى حلب، تذكر المصادر التاريخية عام ٨٤٥هـ/١٤٤١م أن جمال الدين الباعونى ـ قاضى الشافعية بحلب ـ عندما سمع بخمر فى بيت عند خان الدهانين[١]، أرسل نقيبه لإراقته، فلما علم بذلك الأمير طوغان ـ أحد أمراء حلب ـ أرسل خلف نقيب القاضى وضربه ضربًا شديدًا، فلما علم بذلك القاضى قام بتأليب الأهالى على طوغان، ثم توجه ـ ومعه العلماء والأهالى ـ إلى نائب حلب قانباى[٢] الحمزاوى، وطالبوه بإحضار طوغان ليقوم القاضى بتأديبه، فاضطر النائب إلى إحضار طوغان للقاضى، فقام بتأديبه[٣].

كما تذكر المصادر التاريخية أن شهاب الدين السوبينى[٤] لما تولى قضاء الشافعية بحلب عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م توجه بنفسه إلى الأماكن التى كان يمارس فيها المنكرات فأزالها[٥].

كما قام علماء مصر والشام ـ من خلال ولايتهم للحسبة[٦] ـ بمحاربة الأمراض

---

(١) جمال الدين الباعونى: يوسف بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بحلب، باشر بعفة ونزاهة، توفى ٨٨٠هـ، انظر: ابن المبرد «متعة الأذهان» ح ٢ ص ٨٣٢.

(٢) خان الدهانين: يوجد بدرب الدهانين أحد دروب حلب، انظر: ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ١ ص ٤٥٤.

(٣) قانباى الحمزاوى: انظر: ص ٢٢٠.

(٤) ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ١٦٦.

(٥) شهاب الدين السوبينى: إبراهيم بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بحلب، انظر: ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ١٩٦.

(٦) ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ١٩٦.

(٧) **الحسبة**: هى ولاية دينية فى الدولة الإسلامية ذات الصفة الرقابية، ومنوط بها مراقبة السلوك البشرى فى المجتمع الإسلامى، وتلى ولاية القضاء فى المرتبة، إذ أن ولايات رفع المظالم على العموم، أو النظر فى القضاء بين الناس موزعة على ثلاث جهات، أقواها ولاية المظالم ـ التى تقوم بها السلطة العليا «السلطان» ـ، ويليها ولاية القضاء، ثم ولاية الحسبة، فالحسبة واسطة بين أحكام القضاء وأحكام ولاية المظالم، انظر: طوعان شيخ المحمدى «المقدمة السلطانية فى السياسة الشرعية» ص ١٠٥، مخطوطة بدار الكتب المصرية، برقم (١٧٢٦ فقه حنفى)، ومكروفيلم (١٧١٧٦)، د. على عبد القادر «الفقه الإسلامى: القضاء والحسبة» ص ٨٤، مقال بموسوعة الحضارة الإسلامية، إصدار المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، رقم (٣) لعام ١٩٩٥م، د. عدنان أحمد «منهج الإسلام فى الحفاظ على البيئة من التلوث» ص ٣٣٣، مقال بمجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت، العدد الحادى والخمسون، شوال ١٤٢٣هـ/ ديسمبر ٢٠٠٢م.

الاجتماعية والرذائل الأخلاقية التى عانى منها المجتمع المصرى والشامى ، والتى منها تعاطى الخمر والحشيش ، وانتشار أماكن البغاء ، ودور القِمار[١] ، وتبرج النساء فى الطرقات[٢] .

ومن ذلك ما تذكره المصادر التاريخية عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م أن صدر الدين العجمى[٣] ـ محتسب القاهرة ـ أزال أماكن المنكرات ، وأراق الخمور[٤] ، ولقد تكرر منه ذلك العمل عندما تولى الحسبة عام ٨٤١هـ/١٤٣٧م[٥] .

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما تذكره المصادر التاريخية ، أنه لما تولى بدر الدين[٦] العينى الحسبة عام ٨٤٤هـ/١٤٤٠م ، أمر بمنع خروج النساء متبرجات[٧] ، ولقد كانت ملابس النساء فى العصر المملوكى ـ بشكل عام ـ يغلب عليها طابع عدم التبرج ، فلقد كانت أكثر الملابس النسائية انتشارًا فى ذلك العصر القباء ، وهو نوع من الرداء المحكم المشابه للقفطان ، يصل فى طوله إلى منتصف عضلة الساق ، مشقوق فى مقدمته ، ومغلق عند الصدر ، وكان ينسج من القطن أو الصوف أو الحرير ، وكذلك هناك القناع ، وهو غطاء اتخذته النساء لتغطية الرأس والوجه معًا[٨] ، وها هو السفير جان تينو الذى زار القاهرة أواخر العصر المملوكى يذكر أن النساء لم يكن يرتدين الملابس المطرزة والمذهبة ، ولا يخرجون حاسرات الوجوه[٩] .

ولكن بعض النساء كانوا يبتدعن بعض الأمور المنكرة فى ملابسهم ، كا اتدرائهم ثياب

---

(١) **القِمار** : كل لعب فيه مراهنة ، وهو محرم شرعًا ، انظر : ابن سيدة « ابن الحسن على « ت ٤٥٨هـ » « المخصص » ح ٤ ص ٢٠، الجوهرى « إسماعيل بن حماد » « تاج اللغة وصحاح العربية » ح ٢ ص ٧٩٩، « المعجم الوجيز » ص ٥١٤، إصدار مجمع اللغة العربية ، المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م .

(٢) ابن شاهين « الروض الباسم » ص ٩، ١٠، ابن الأخوة « معالم القربة » ص ٣٢، ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٧ ص ٣٤٨، ح ٩ ص ١٠، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ١٨١.

(٣) صدر الدين العجمى : أحمد بن محمد ، من أبرز فقهاء الحنفية بمصر ، درس وأفتى ، توفى ٨٣٣هـ ، انظر : ابن طولون « الغرف العلية » ص ١٥٨.

(٤) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٧ ص ٣٤٨. (٥) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٩ ص ١٠.

(٦) بدر الدين العينى : محمود بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الحنفية بمصر ، درس وأفتى ، توفى ٨٥٥هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١٠ ص ١٣١.

(٧) ابن شاهين « الروض الباسم » ص ٩، ١٠.

(٨) د. محمد عيسى « من وثائق الحرم القدس الشريف المملوكية » ص ٢١، ٢٤، حولية الآداب والعلوم والاجتماعية ، جامعة الكويت ، الرسالة (٢٦) ، الحولية (٦) لعام ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م .

(٩) آدم صبرة « الفقر والإحسان فى مصر » ص ١٨٢.

ذات أكمام واسعة بلغت ٧٢ ذراعًا، أو يعتصبن بعصائب كبيرة على رؤوسهن كأمثلة الأسنمة، وهى ملابس شهرة[*] نهى الإسلام عنها، كما أنها تجذب الأعين إليها[١].

وفى دمشق، تذكر المصادر التاريخية عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م، أنه لما تولى ناصر الدين بن الشبل[٢] حسبة دمشق عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م أخذ فى إنكار المنكرات من تبرج النساء وإغلاق دور القِمار ونحو ذلك[٣].

وهكذا فقد كافح العلماء لتنقية المجتمع المصرى والشامى من تلك الأمراض والرذائل بكل حزم وقوة، حيث أبطلوا ضمان المغانى الذى كان بمثابة اعتراف رسمى من السلطة المملوكية بالبغاء مقابل ضريبة مقررة، كما توجهوا إلى المصريين والشاميين بالنصح والتوجيه ـ باللسان ـ ليكفوا عن تلك الرذائل والمنكرات. كذلك تحالفوا مع المصريين والشاميين لإزالة أوكار الفساد بالقوة كالخمارات وأماكن البغاء.

كما قام العلماء من خلال ولايتهم للحسبة بمحاربة تلك الأمراض الاجتماعية والرذائل الأخلاقية، حيث أزالوا أماكن البغاء وتعاطى الخمر والحشيش ودور القِمار، وحاربوا ظاهرة تبرج النساء فى الطرقات.

*** الجهاد بالقلم:**

كذلك كافح علماء مصر والشام تلك الأمراض الاجتماعية والرذائل الأخلاقية التى عانى منها المجتمع المصرى والشامى من خلال «الجهاد بالقلم»، فلقد صنف الشهاب الأقفهسى[٤] «ت ٨٠٨هـ» العالم المصرى كتاب «إكرام من يعيش بمعرفة أحكام الخمر والحشيش»، ذكر فيه أحكام الخمر والحشيش فى الشريعة الإسلامية، حيث تحدث عن

(*) نهى الإسلام عن لبس ثوب الشهرة، فلقد روى أبو داود، وابن ماجة ـ وحسنه الألبانى ـ من حديث ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ، أن الرسول ﷺ، قال: «من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوبا مثله»، انظر: السيوطى «الأمر بالاتباع والنهى عن الابتداع» ص ٩٩، دار الاستقامة، القاهرة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، أبو داود «سنن أبو داود» ح ٤ ص ١٧٣، ابن ماجه «سنن ابن ماجه» ح٢ ص ١١٩٢، الألبانى «صحيح الجامع» ص ١١١٣.

(١) كوركيس عواد «الذخائر الشرقية» ح ٥ ص ٦٠، ٦١، د. سعدون الساموك «الأزياء العربية عبر التاريخ» ص ١٤٨، مجلة المؤرخ العربى، بغداد، العدد (٢٥) عام ١٩٨٤م.

(٢) لم تقدم المصادر التاريخية التى اطلع عليها الباحث تعريفًا لهذا المحتسب.

(٣) ابن طولون «اللمعات البرقية» ص ٦٣.

(٤) الشهاب الأقفهسى: أحمد بن عماد، تفقه على شيوخ عصره، برع فى الفقه الشافعى، له مؤلفات عديدة، توفى ٨٠٨هـ، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٢ ص ٤٧.

الخمر وأنواعها ، وما ورد فى تحريمها ، وعقاب شاربها فى الدنيا والآخرة[١] ، كما تحدث عن الحشيش ، وإثبات أنه محرم شرعًا لأنه مُسكر[٢] ، ثم ذكر الحالات التى يُباح فيها تناول الحشيش ، والتى منها التداوى باستشارة الأطباء فقط ، وكمخدر فى العمليات الجراحية[٣] ، ثم أورد آراء الأطباء فى آثاره السلبية على صحة الإنسان[٣] . وكذلك صنف العالم المصرى أبو عبد الله الواسطى[٤] «ت٨٤٩هـ» كتابه «الحكم المضبوط فى تحريم عمل قوم لوط» ، أبان فيه حكم الشرع فى ذلك الفعل القبيح[٥] . كما صنف العالم المصرى جلال الدين السيوطى[٦] «ت٩١١هـ» كتابه «رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين» ، وهى رسالة ألفها أبان فيها رأى الشرع فى هدم الأماكن التى يمارس فيها الرذائل الأخلاقية ويتعاطى فيها الخمور[٧] ، وذلك أنه رفعت للسيوطى مسألة من أحد المصريين أن أحد الأشخاص أخذ أحد الأماكن وبنى بها بناءًا ، جعله وكرًا لفعل المحرمات والرذائل بشتى أنواعها ، فقال السيوطى للسائل اذهب لصاحب البناء ، وأخبره بأنه إن لم يطهر هذا البناء من تلك المنكرات أفتيت بهدمه ، ولقد أراد السيوطى تدعيم هذه الفتوى بأسانيدها الشرعية فى الكتاب والسنة النبوية ، فألف هذه الرسالة[٨] . وكذلك صنف العالم ابن المبرد الدمشقى[٩] «ت٩٠٩هـ» كتابه «ذم اللواط وصاحبه» ، أبان فيه رأى الشرع فى ذلك الفعل[١٠] .

---

(١) شهاب الدين الأقفهسى « إكرام من يعيش بمعرفة أحكام الخمر والحشيش » ص ١٠٠ ـ ١٠٢، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم (٢/١١٤ مجاميع) .

(٢) شهاب الدين الأقفهسى « إكرام من يعيش » ص ٧٣ .

(٣) شهاب الدين الأقفهسى « إكرام من يعيش » ص ٧٥ .

(٤) أبو عبد الله الواسطى : محمد بن عمر ، تفقه على شيوخ عصره ، كان زاهدًا متقشفًا ، توفى عام ٨٤٩هـ ، انظر : الشوكانى «البدر الطالع» ح ٢ ص ١١٨، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٢٣٨ .

(٥) الشوكانى « البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع » ح ٢ ص ١١٨.

(٦) جلال الدين السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن ، تفقه على شيوخ عصره ، درس وأفتى ، وصنف مصنفات عديدة ، توفى ٩١١هـ ، انظر : الغزى « الكواكب السائرة » ص ٣١٥.

(٧) السيوطى « التحدث بنعمة الله » ص ١٧٩.

(٨) السيوطى « الحاوى للفتاوى » ص ١٤٤، إدارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٥٢هـ .

(٩) ابن المبرد : يوسف بن الحسن ، تفقه على شيوخ عصره ، كان إمامًا بارزًا فى الحديث والتفسير ، ورأس علماء الحنابلة بدمشق فى عصره ، درس وأفتى ، وصنف تصانيف عديدة ، توفى ٩٠٩هـ ، انظر السخاوى « الضوء اللامع » ح ١٠ ص ٣٠٨.

(١٠) ابن المبرد « الجوهر المنضد فى طبقات متأخرى أصحاب أحمد » ص ٢٩.

٣ ـ العلماء والفقراء

لقد عاش غالب المصريين والشاميين فى ظل الدولة المملوكية ـ فى أغلب الأحيان ـ حياة اقتصادية بائسة عانوا فيها الفقر والحرمان[١] ، بينما المماليك يحيون حياة الترف والنعيم[٢] .

وفى ظل ذلك الواقع الاقتصادى الكئيب ظهرت الأوقاف[٣] وازدهرت ازدهارًا كبيرًا ، وأصبحت تلك الأوقاف هى الملجأ الذى أوى إليه الفقراء بمصر والشام ، حيث خصص ريع تلك الأوقاف لإطعام الفقراء والمساكين والأرامل ، وكسوة العرايا صيفًا وشتاءً ، وتجهيز البنات الفقراء إلى أزواجهن ، وتغسيل فقراء المسلمين وتكفينهم ، وتوفير الدواء والعلاج للفقراء[٤] .

---

(١) آدم صبرة « الفقر والإحسان فى مصر عصر سلاطين المماليك » ص ٦٥، د. البيومى إسماعيل « مصادرة الأملاك » ص ٩٧، د. محاسن محمد « الطبقات الشعبية فى العصر المملوكى » ص ١٢٥، عثمان على « الأزمات الاقتصادية فى مصر فى العصر المملوكى » ص ٢٣٧، ماجستير ، دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٩م .

(٢) د. أحمد عبد الرازق « البذل والبرطلة » ص ١٣٥.

(٣) **الوقف** : هو حبس العين والتصدق بمنفعتها على جهة من جهات البرّ ابتداءً وانتهاءً ، ولقد اتفق الفقهاء على أن الوقف مستحب شرعًا ومندوب إليه ، وأنه من سبيل الله كما ثُبت فى السنة النبوية ، وأن ثمرة المال الموقوف وغلته تصبح صدقة على الموقوف عليهم بالقبض إذا كانوا أشخاصًا ويستحقونها إذا كانوا غير ذلك كجهات البرّ ، انظر : د. محمد محمد أمين « الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر » ص ٢٢، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ط ١ (١٩٨٠م) ، د. نصر محمد « نظريات التنمية السياسية المعاصرة » ص ٢٢٥، ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م ، د. أيمن محمد « الوقف ودوره فى التنمية الاقتصادية » ص ١٣، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الكويت ، العدد (٦٠) ، محرم ١٤٢٦هـ/ مارس ٢٠٠٥م .

(٤) البصروى « تاريخ البصروى » ص ٤١، د. آدم صبرة « الفقر والإحسان فى مصر » ص ١٢٣، د. محمد محمد أمين « الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر » ص ١٥٦، ١٥٨، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٢، ١٧٤، ١٨٨، ٢١٠، د. عبد اللطيف إبراهيم « وثيقة الأمير آخور كبير قراقجا الحسنى » ص ١٣٨، مقال بمجلة كلية آداب القاهرة ، ديسمبر ، ١٩٥٦م ، د. خلف عبد العليم « الحياة الاقتصادية ببلاد الشام » ص ١٤٣.

ولقد كانت الأوقاف فى العصر المملوكى لها ديوان خاص ـ هو أحد دواوين الدولة المالية ـ ، وكان رئاسة هذا الديوان لقاضى الشافعية ، وذلك لانتشار المذهب الشافعى فى مصر منذ قدوم الإمام الشافعى إلى مصر ، ولقد ظل ذلك المذهب قويًا عهد الفاطميين ، ثم ازدهر بعد ذلك فى عهد الأيوبيين ، ومن بعدهم المماليك ، فلقد كان المذهب الرسمى للدولة[١] ، وكان قاضى الشافعية يتولى حفظ أصول الأوقاف ، واستثمارها وقبض ريعها وصرفه فى أوجه صرفه[٢] ، ولقد ذكر المؤرخون فى ثنايا تراجم علماء مصر والشام ـ من خلال ولايتهم للقضاء ـ أنهم قاموا بحفظ أصول الأوقاف ومنعوا استبدالها وعمّروها وثمّروا أموالها ، وذلك عاد بالطبع بعظيم النفع على الفقراء والمساكين المستفيد الكبير من ريع تلك الأوقاف .

وممن تولى ديوان الأوقاف بمصر ، العالم بدر الدين[٣] البغدادى « ت ٨٠١هـ »[٤] ، والعالم ولى الدين السفطى[٥] « ت ٨٥٤هـ »[٦] ، والعالم سعد الدين[٧] الديرى

---

(١) د. محمد كامل حسين « الحياة الفكرية والأدبية بمصر من الفتح العربة ، حتى آخر الدولة الفاطمية » ص ٤٢، مكتبة النهضة المصرية ، سلسلة الألف كتاب رقم (٢٤٤) ، د. سعود محمد « الحياة الثقافية بدمشق » ص ٣١١.

(٢) القلقشندى « صبح الأعشى » ح ٤ ص ٣٦، ابن كنان « حدائق الياسمين » ص ٤٣، ابن قيم الجوزية « الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية » ص ٢٠٢، د. آدم صبرة « الفقر والإحسان » ص ١٢٦، د. فوزى حامد « القضاء فى صعيد مصر » ص ٣١٥.

(٣) بدر الدين البغدادى : محمد بن عبد المنعم ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الحنابلة بمصر ، توفى ٨٠١هـ ، انظر : السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٤٩، تحقيق د. جودة هلال ، الدار المصرية للتأليف ، ١٩٦٦م .

(٤) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٥١.

(٥) ولى الدين السفطى : محمد بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى قضاء الشافعية بمصر ، توفى ٨٥٤هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٧ ص ١١٩.

(٦) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٧ ص ١١٩.

(٧) سعد الدين الديرى : سعد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى قضاء الحنفية بمصر ، توفى ٨٦٧هـ ، انظر : ابن تغرى « النجوم الزاهرة » ح ١٦ ص ٢٨٥.

« ت ٨٦٧هـ »[١]، والعالم شهاب الدين[٢] الأمشاطى « ت ٨٨٥هـ »[٣]، والعالم بدر الدين[٤] السِّدرش « ت ٩٠٠هـ »[٥]، والعالم زكريا[٦] الأنصارى « ت ٩٢٦هـ »[٧].

وممن تولى ديوان الأوقاف بدمشق، العالم شهاب الدين الحسينى « ت ٨٠٣هـ »[٨]، والعالم شهاب الدين الباعونى[٩] « ت ٨١٦هـ »[١٠]، والعام أبو نعيم العامرى[١١] « ت ٨٢٢هـ »[١٢]، والعالم شهاب الدين الأموى[١٣] « ت ٨٤٠هـ »[١٤]، والعالم شمس

---

(١) الغزى « الطبقات السنية فى تراجم الحنفية » ح ٤ ص ٢٢، ابن حجر العسقلانى « رفع الأصر عن قضاة مصر » ح ٢ ص ٢٤٥، تحقيق د. حامد عبد المجيد، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٦١هـ، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ١٣٠.

(٢) شهاب الدين الأمشاطى : محمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الحنفية بمصر، توفى عام ٨٨٥هـ، انظر : السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢٠٥.

(٣) ابن إياس « بدائع الزهور » ص ١٧٠، السخاو ى « وجيز الكلام » ح ٣ ص ٩١٣، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٢١٢.

(٤) بدر الدين السِّدرشى : محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الحنابلة بمصر، توفى عام ٩٠٠هـ، انظر : السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٠٩.

(٥) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣١٨.

(٦) زكريا الأنصارى : زكريا بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بمصر، توفى عام ٩٢٦هـ، انظر : الغزى « الكواكب السائرة » ح ١ ص ١٩٦.

(٧) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ١٤٩.

(٨) ابن شهبة « الإعلام بتاريخ أهل الإسلام » ص ٢٤٤.

(٩) شهاب الدين الباعونى : أحمد بن ناصر، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء دمشق، توفى عام ٨١٦هـ، انظر : ابن شهبة « طبقات الشافعية » ح ٢ ص ٢٦٣.

(١٠) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٢ ص ٢٣١.

(١١) أبو نعيم العامرى : أحمد بن عبد الله، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى بدمشق، توفى ٨٢٢هـ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٣٥٦.

(١٢) البصروى « تاريخ البصروى » ص ٤١، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٣٥٦.

(١٣) شهاب الدين الأموى : تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بدمشق، توفى ٨٤٠هـ، انظر : ابن طولون « قضاة دمشق » ص ١٥٧.

(١٤) ابن طولون « قضاة دمشق » ص ١٥٧.

الدين العدوى[1] «ت ٨٧٤هـ»[2]، والعالم أبو المحاسن الصالحى[3] «ت ٨٨٠هـ»[4].

وممن تولى ديوان الأوقاف بالقدس، العالم غرس الدين السخاوى[5] «ت ٨٤٧هـ»[6]، والعالم شمس الدين الحموى[7] «ت ٨٥٣هـ»[8]، والعالم زين الدين عبد القادر[9] «ت ٨٩٧هـ»[10].

وممن تولى ديوان الأوقاف بحلب، العالم ابن العجمى[11] «ت ٨٥٧هـ»[12]، والعالم تاج الدين الحسينى[13] «ت ٨٧٥هـ»[14].

---

(١) شمس الدين العدوى: محمد بن عبد الرازق، تفقه على شيوخ عصره، عمّر أوقاف البيمارستان النورى، توفى عام ٨٧٤هـ، انظر: البصروى «تاريخ البصروى» ص ٤١.

(٢) البصروى «تاريخ البصروى» ص ٤١.

(٣) أبو المحاسن الصالحى: يوسف بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بدمشق، توفى ٨٨٠هـ، انظر ط السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ٢٩٨.

(٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ٢٩٩.

(٥) غرس الدين السخاوى: خليل بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى نظر الحرمين بالقدس، توفى ٨٤٧هـ، انظر: مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٩٧، ٢٧٦.

(٦) مجير الحنبلى «الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل» ح ٢ ص ٩٧، ٢٧٦.

(٧) شمس الدين الحموى: محمد بن الصلاح، برع فى علم النحو والأدب، وولى نظر القدس والخليل، توفى ٨٥٣هـ، انظر: مجير الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢٧٧.

(٨) مجير الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢٧٧.

(٩) زين الدين عبد القادر: عبد القادر بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، ولى نيابة النظر على وقف الحرم الخليلى، توفى ٨٩٧هـ، انظر: مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢١٢.

(١٠) مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢١٢.

(١١) شهاب الدين ابن العجمى: محمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، ولى قضاء الشافعية بحلب، توفى عام ٨٥٧هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٣٠.

(١٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٣٠.

(١٣) تاج الدين الحسينى: عبد الوهاب بن عمر، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بحلب عام ٨٥٧هـ، ودرس بحلب، توفى ٨٧٥هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٥ ص ١٠٦، ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ٢٥٨.

(١٤) ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ٢٥٨.

obeikandl.com

كذلك أشارت المصادر التاريخية إلى ثلاثة أمور، ساهم خلالها علماء مصر والشام فى تخفيف المعاناة التى عانى منها الفقراء بمصر والشام فى العصر المملوكى ـ القرن التاسع ـ، وتلك الأمور هى:

أ ـ إطعام العلماء الفقراء.

ب ـ توزيع العلماء أموال الأغنياء ـ نيابة عنهم ـ على الفقراء.

جـ ـ حث العلماء للأغنياء للإنفاق على الفقراء.

أ ـ إطعام العلماء الفقراء:

إن الإسلام يُعلى من الإنفاق فى سبيل الله، ويجعل المسلم مُستخلف فى ماله، ويحذر من يكتنز المال ويمنعه عن مستحقيه من الفقراء، ويعتبره إذا فعل ذلك متعديًا لحدود الله[1]، ولمّا كان العلماء هم مفسروا الشريعة الإسلامية السامية، فلقد شهدت المصادر التاريخية لعلماء مصر والشام فى القرن التاسع برعايتهم للفقراء وسد حوائجهم من طعام وكساء وغير ذلك، ولكن للأسف فقد كانت هذه الشهادات التاريخية موجزة مقتضبة، اكتفت بذكر قيام العالم بتعهد الفقراء والمساكين بالصدقات وسد حوائجهم من طعام وكساء وغير ذلك، وذلك دون توضيح كيفية توزيع الصدقات، وعملية الإطعام، وفى أى الأوقات التى كان يكثر فيها توزيع العلماء للصدقات والطعام على الفقراء؟، غير أن الصدقات والأعمال الخيرية بشكل عام كانت تكثر فى المناسبات الدينية كالمولد النبوى، وشهر رمضان، وعيد الأضحى، ويوم عاشوراء[2].

ومن أشهر علماء مصر فى ذلك المجال ـ على سبيل المثال ـ سراج الدين البلقينى[3]

---

(١) د. إبراهيم الدسوقى «الثورة الإيرانية: الجذور الإيدلوجية» ص ٢٠٠، دار الوطن العربى، بيروت، ١٩٧٩م.

(٢) ابن الحاج «المدخل» ح ١ ص ٢٨٩، د. آدم صبرة «الفقر والإحسان فى مصر» ص ٨٩، ٩٠، ٩١.

(٣) سراج الدين البلقينى: انظر: ص ٢١٧.

«ت ٨٠٥هـ»[١]، وسراج الدين القرمى[٢] «ت ٨٠٩هـ»[٣]، ومحمد الزبيرى[٤] «ت ٨٤١هـ»[٥]، وشمس الدين الطندتائى[٦] «ت ٨٥٢هـ»[٧]، وابن حجر العسقلانى[٨] «ت ٨٥٢هـ»[٩]، وعز الدين أبو البركات[١٠] «ت ٨٧٦هـ»[١١]، وأحمد الأبشيطى[١٢] «ت ٨٨٣هـ»[١٣]، وأبو الطيب الأسيوطى[١٤] «ت ٨٩٣هـ»[١٥]،

---

(١) ابن شهبة «الإعلام بتاريخ أهل الإسلام» ص ٣٢٢، ابن شهبة «طبقات الشافعية» ص ٢٧٨.

(٢) سراج الدين القرمى: عمر بن منصور، تفقه على شيوخ عصره، درس بجامع ابن طولون، توفى عام ٨٠٩هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٦ ص ١٣٨.

(٣) ابن تغرى «المنهل الصافى» ح ٨ ص ٣٢٩.

(٤) محمد الزبيرى: محمد بن حسن، تفقه على شيوخ عصره بمصر، توفى ٨٤١هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٢٢١.

(٥) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٢٢٣.

(٦) شمس الدين الطندتائى: محمد بن عبد الرحمن، تفقه على شيوخ عصره، وبرع فى علم القراءات، توفى عام ٨٥٢هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٢٩٧.

(٧) البقاعى «عنوان الزمان» ح ٢ ص ٥٦٤، السخاوى «الضوء اللامع» ح ٧ ص ٢٩٧.

(٨) ابن حجر العسقلانى: أحمد بن على، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم الحديث، تولى قضاء الشافعية بمصر، توفى ٨٥٢هـ، ابن تغرى «المنهل» ح ٢ ص ١٧.

(٩) البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ١٣٨، ابن تغرى «النجوم الزاهرة» ح ١٥ ص ٢٥٩.

(١٠) عز الدين أبو البركات: أحمد بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، درس، وولى قضاء الحنابلة بمصر، توفى ٨٧٦هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٠٥.

(١١) ابن شاهين «المعجم المفنن» ص ٦٣، ابن الصيرفى «إنباء الهصر» ص ٣٤٧، ابن مكى «السحب الوابلة» ح ١ ص ٩٠، السخاوى «الذيل على رفع الأصر» ص ٣٨، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٠٥.

(١٢) أحمد الأبشيطى: أحمد بن إسماعيل، تفقه على شيوخ عصره، وتوفى عام ٨٨٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٣٥.

(١٣) البقاعى «عنوان الزمان «ح ١ ص ٥٩، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٣٥.

(١٤) أبو الطيب الأسيوطى: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، توفى عام ٨٩٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ١١٨.

(١٥) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ١١٨.

obeikandi.com

وابن مزهر[1] «ت ٨٩٣هـ»[2].

أمّا بلاد الشام، فمن أشهر علماء دمشق فى هذا المجال ابن عبدان[3] «ت ٨٠٢هـ»[4]، ونجم الدين الحسبانى[5] «ت ٨٣٠هـ»[6]، وابن قاضى شهبة[7] «ت ٨٥١هـ»[8]، وابن قندس[9] «ت ٨٦١هـ»[10]، وشمس الدين القرشى[11] «ت ٨٧٣هـ»[12]، وابن جساس[13] «ت ٨٧٤هـ»[14].

---

(١) ابن مزهر: أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، ولى نظر الجوالى المصرية، وكتابة سر مصر، توفى عام ٨٩٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨٧.

(٢) ابن شاهين «المعجم المقنن» ص ٥٢، السخاوى «الذيل على رفع الأصر» ص ٤٧٩، السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨٨.

(٣) ابن عبدان: بدر الدين محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى القضاء بحمص، ودرس بدمشق، توفى ٨٠٢هـ، انظر: ابن قاضى شهبة «الإعلام» ص ١٩٦.

(٤) ابن قاضى شهبة «الإعلام» ص ١٩٦.

(٥) نجم الدين الحسبانى: عمر بن حجى، تفقه بشيوخ عصره، تولى قضاء دمشق إحدى عشر عامًا ـ على فترات متفاوتة ـ، توفى ٨٣٠هـ، انظر: ابن طولون «قضاة دمشق» ص ١٤٣.

(٦) ابن طولون «قضاة دمشق» ص ١٤٣.

(٧) ابن قاضى شهبة: أبو بكر بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، وتولى قضاء دمشق، توفى ٨٥١هـ، انظر السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٢١.

(٨) ابن العجمى «كنوز الذهب» ح ٢ ص ٢٠٨.

(٩) ابن قندس: أبو بكر بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، توفى ٨٦١هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ١٤.

(١٠) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ١٤.

(١١) شمس الدين القرشى: محمد بن المعتمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى حسبة دمشق، وكانت سيرته حسنة، توفى ٨٧٣هـ، انظر: البصروى «تاريخ البصروى» ص ٣٥.

(١٢) البصروى «تاريخ البصروى» ص ٣٥.

(١٣) ابن جساس: شمس الدين محمد بن عبد الرازق، كان يحسن للفقراء، توفى ٨٧٤هـ، انظر: البصروى «تاريخ البصروى» ص ٤٠.

(١٤) البصروى «تاريخ البصروى» ص ٤٠.

obeikandl.com

ومن أشهر علماء حلب محمد الحلبى[1] « ت ٨٠٣هـ »[2] ، وجمال الدين الباعونى[3] « ت ٨٨٠هـ »[4] .

ومن أشهر علماء القدس ابن أرسلان[5] « ت ٨٤٤هـ »[6] ، وشمس الدين العليمى « ت ٨٧٣هـ »[7] .

ب ـ توزيع العلماء أموال الأغنياء على الفقراء :

لقد قام علماء مصر والشام بتوزيع[*] أموال الأغنياء ـ سواء كانت زكوات أو صدقات ـ على الفقراء ، وذلك لوثوق هؤلاء الأغنياء بعفة وأمانة العلماء ، ولقد أدى العلماء هذه المهمة بأمانة وعفة .

---

(١) محمد الحلبى : محمد بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، وخطب بحلب ، توفى ٨٠٣هـ ، انظر : ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٤ ص ٣١٩.

(٢) ابن حجر « إنباء الغمر » ح ٤ ص ٣١٩.

(٣) جمال الدين الباعونى : يوسف بن أحمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى القضاء بدمشق ، وحلب ، وتوفى ٨٨٠هـ ، انظر : ابن العجمى « كنوز الذهب » ح ٢ ص ١٦٥.

(٤) ابن العجمى « كنوز الذهب » ح ٢ ص ١٦٥، السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٨٦.

(٥) ابن أرسلان : أحمد بن حسين ، تفقه على شيوخ عصره ، درس وأفتى ، وله مصنفات عديدة ، توفى ٨٤٤هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ١٧٤.

(٦) البقاعى « عنوان الزمان » ح ١ ص ٦٧، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٣٨٢.

(٧) شمس الدين العليمى : محمد بن أبى هريرة ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى قضاء الرملة ، والقدس ، توفى ٨٧٣هـ ، انظر : مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٦٢.

(٨) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ٢٦٦.

(*) أشارت المصادر التاريخية لذلك الأمر بشكل موجز ومقتضب ، فلم توضح الطريقة التى كان يتم بها موجب التوزيع ، وأماكن التوزيع ، والأوقات التى كان يتم فيها التوزيع ؟ ، وإن كان هناك مناسبات معينة وأوقات مخصصة يوزع فيها الصدقات فى العصر المملوكى ، وهى المناسبات الدينية مثل المولد النبوى ، وشهر رمضان ، وعيد الأضحى ، ويوم عاشوراء ، كما سبق القول ، انظر : ص ٢٢٩.

obeikandl.com

ومن أمثال هؤلاء العلماء بمصر، العالم برهان الدين القصورى[1] «ت ٨٥٢هـ»[2]، وابن إمام الكاملية[3] «ت ٨٦٤هـ»[4]، وولى الدين الأسيوطى[5] «ت ٨٩١هـ»[6]، وأمين الدين الدمياطى[7] «ت ٩٢٩هـ»[8].

ومن أمثال هؤلاء العلماء بدمشق شمس الدين البلاطنسى[9] «ت ٨٦٣هـ»[10].

ومن علماء القدس ابن أرسلان[11] **«ت ٨٤٤هـ»**[12].

جـ ـ حث العلماء للأغنياء للإنفاق على الفقراء:

لقد قام علماء مصر والشام بدعوة الأغنياء وحثهم[*] على مساعدة الفقراء وانقاذهم من براثن الجوع والحرمان، واستجاب هؤلاء الأغنياء لدعوة العلماء.

---

(١) برهان الدين القصورى: إبراهيم بن خضر، تفقه على شيوخ عصره، درس، وبرع فى علم الحديث، توفى عام ٨٥٢هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٤٣.

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٤٧.

(٣) ابن إمام الكاملية: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، درس، وصنف مؤلفات عدة، توفى عام ٨٦٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٩ ص ٩٣.

(٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٩ ص ٩٥.

(٥) ولى الدين الأسيوطى: أحمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، ناب فى قضاء الشافعية بمصر، توفى ٨٩١هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢١٠.

(٦) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢١٢.

(٧) أمين الدين الدمياطى، محمد بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، كان إمامًا فى علوم الشرع، وخطيب جامع الغمرى، توفى ٩٢٩هـ، انظر: الغزى «الكواكب السائرة» ص ٣٣.

(٨) الغزى «الكواكب السائرة» ص ٣٢، الشعرانى «لواقح الأنوار» ص ٥٦.

(٩) شمس الدين البلاطنسى: محمد بن عبد الله، تفقه على شيوخ عصره، درس وأفتى، توفى ٨٦٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ٨٦.

(١٠) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ٨٧.

(١١) ابن أرسلان: انظر: ص ٢٣٢.

(١٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١ ص ٢٨٥.

(*) أشارت المصادر التاريخية فى ثنايا تراجم العلماء بدعوة العلماء وحثهم للأغنياء لمساعدة الفقراء بأموالهم فى عبارات مقتضبة موجزة تؤكد قيام العلماء بهذا الأمر، ولكن دون توضيح كيفية دعوة العلماء للأغنياء لمساعدة الفقراء.

obeikandl.com

ومن أمثال هؤلاء العلماء بمصر، شمس الدين[1] البوصيرى «ت ٨٢٤هـ»[2]، وأمين الآقصراى[3] «ت ٨٨٠هـ»[4].

ومن أمثال هؤلاء العلماء بدمشق الزين أبو الفرج[5] «ت ٨٥٦هـ»[6].

(١) شمس الدين البوصيرى: محمد بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، وكان إمام جامع البوصيرى، توفى عام ٨٢٤هـ، انظر: ابن حجر «إنباء الغمر» ح ٧ ص ٤٤٥.

(٢) ابن حجر «إنباء الغمر» صح ٧ ص ٤٤٥.

(٣) أمين الآقصراى: يحيى بن محمد، كان من كبار علماء الحنفية بمصر، درس وأفتى، توفى عام ٨٨٠هـ، انظر: ابن إياس «بدائع الزهور» ح ٣ ص ١٠٧.

(٤) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ٢٤١.

(٥) الزين أبو الفرج: عبد الرحمن بن ابى بكر، تفقه على شيوخ عصره، توفى ٨٥٦هـ، انظر: ابن مفلح «المقصد الأرشد» ح ٢ ص ٨٥.

(٦) ابن مفلح «المقصد الأرشد» ح ٢ ص ٨٥.

obeikandl.com

٤ ـ القضاء وتزويج الأيامى[١]

لقد كانت وظيفة القاضى فى صدر الإسلام وعهد الخلفاء الراشدين محصورة فى الفصل بين الناس فى الخصومات ، غير أنه فى العصور الإسلامية اللاحقة أضيف إلى اختصاص القاضى أمور أخرى غير قضائية بطبيعتها كتزويج الأيامى[٢] .

وعلة إسناد تزويج الأيامى إلى القاضى ؛ أن الأيم قد يعضلها وليّها ـ أى يمنعها ـ من تزويجها بمَنْ هو كفء لها راغب فى زواجها ، وفى هذه الحالة ذهب علماء الإسلام أن السلطان « الحاكم » أو من يفوضه السلطان يزوّج الأيم ، وذهب العلماء أن القاضى هو الذى ينوب عن السلطان فى ذلك الأمر ، كذلك قد يغيب ولى المرأة غيبة مُنقطعة ، وهى الغيبة التى لا يصل الكِتاب فيها إليه ، أو يصل فلا يجيب ، ويصعب الوصول إليه إلا بكُلْفَة ومشقة ، عندئذٍ يقوم السلطان أو من يفوضه بتزويج المرأة[٣] .

ولدينا عدة شواهد تاريخية بأن المؤسسة القضائية « القضاء » فى العصر المملوكى كانت تقوم بتزويج الأيم ـ نيابة عن السلطان ـ عند غياب وليّ المرأة ، فلقد ذكر العمرى[٤] صاحب

---

(١) **الأيم** : من لا زوج له رجلًا كان أو امرأة ، وسواء تزوج من قبل أو لم يتزوج ، ويُقال رجل أيم وامرأة أيم ، انظر : المقرى الفيومى « المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير » ص ٤٦.

(٢) الماوردى « الأحكام السلطانية » ص ١١٩، أبو يعلى الفراء « الأحكام السلطانية » ص ٦٦، ابن قيم الجوزية « الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية » ص ٢٠٢.

(٣) ابن قدامة « ت ٦٣٠هـ » « المُغنى » ح ٩ ص ١٦٠، ١٨٤، ١٨٧، تحقيق د. محمد شرف الدين خطاب ، د. السيد محمد السيد ، دار الحديث ، القاهرة ، ط ١ (١٤١٦هـ/١٩٩٦م) ، العز بن عبد السلام «فتاوى عز الدين بن عبد السلام» ص ٣٨٦، ابن قدامة المقدسى « ت ٦٣٠هـ » « الكافى » ح ٤ ص ٢٣١، ٢٣٢، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركى ، دار هجر للنشر ، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م ، د. عبد الودود السّربتى « أحكام الزواج والطلاق فى الشريعة الإسلامية » ص ١١٠، الدار الجامعية ، بيروت ، أحمد الحصرى « النكاح والقضايا المتعلقة به » ص ٥١٦، مكتبة الكليات الأزهرية ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

(٤) شهاب العمرى : أحمد بن يحيى ، تفقه على شيوخ عصره ، أديب ، ومؤرخ ، تولى كتابة السر بدمشق ، وباشر كتابة السر بمصر نيابة عن والده ، توفى ٧٤٩هـ ، انظر : المقريزى « المقفى » ح ١ ص ٧٣٢، ابن العماد « شذرات الذهب » ح ٦ ص ١٦٠.

كتاب « التعريف بالمصطلح الشريف » أن من مهام قاضى الحنفية تزويج الأيامى ، وذلك عند غياب الولى أو عضله المرأة عن تزويجها بمن هو كفء لها راغب فى زواجها[١] .

من تلك الشواهد ـ أيضًا ـ ما ذكرته المصادر التاريخية عام ٨٧٥هـ/١٤٧٠م أن فتاة رفعت قضية إلى قاضة الحنفية محب الدين ابن الشحنة[٢] مضمونها أنها شابة فقيرة غاب أبواها عن القاهرة[٣] ثلاث سنين وأنها وصلت سن النكاح وتريد الزواج وليس لها ولى شرعى يقوم بتزويجها ، فكتب قاضى الحنفية لنائبه ابن الصيرفى[٤] ليقوم بإتمام زواجها من شخص كفئ مستوفيًا الشروط الشرعية الخاصة بهذا الأمر ، وبعد التأكد من أن والديها غائبين عن القاهرة ، قام ابن الصيرفى بتنفيذ أمر ابن الشحنة وتم تزويج الفتاة[٥] .

ومن ذلك ـ أيضًا ـ ما جاء فى « فتاوى شمس الدين البلاطنسى »[٦] « ت ٨٦٣هـ » عن صحة قيام القاضى الشافعى بتزويج فتاة لم يكن وليّها غائبًا غيبة مُنقطعة ، فأجاب أنه لا يجوز قيام القاضى بتزويج الفتاة إلا إذا كان وليها غائبًا غيبة مُنقطعة ، وهى الغيبة التى لا يصل الكِتاب فيها إليه ، أو يصل فلا يجيب ، ويصعب الوصول إليه إلا بكُلْفَة ومشقة[٧] .

ومن ذلك ـ أيضًا ـ وثيقة عقد زواج مُؤرخة بعام ٦٨٩هـ ، ظهر خلالها قيام القاضى

---

(١) العمرى « التعريف بالمصطلح الشريف » ص ١١٩، ١٢٠، القلقشندى «صبح الأعشى» ح١١ ص ٢٠٠.

(٢) محب الدين ابن الشحنة : أحمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، ولى قضاء الحنفية بالديار المصرية فى عهد السلطان قايتباى « ت ٩٠١هـ » ، توفى عام ٨٨٢هـ ، انظر : « الضوء اللامع » ح ٢ ص ١٩٤.

(٣) **القاهرة** : بناها القائد جوهر المعزى لمولاه المعز بن المنصور بن المهدى الفاطمى عام ٣٥٨هـ ، ولقد اهتم بعمارتها الفاطميين وكذا الأيوبيين ، وبلغت أوج ازدهارها عهد المماليك لكونها عاصمة الدولة ومقر السلطان ، انظر : القلقشندى « صبح الأعشى » ح ٣ ص ٣٤٤.

(٤) ابن الصيرفى : على بن داود ، تفقه على شيوخ عصره ، ناب فى قضاء الحنفية بمصر عام ٨٧١هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٥ ص ١٢٧.

(٥) ابن الصيرفى « إنباء الهصر » ص ٢٢٦.

(٦) شمس الدين البلاطنسى : محمد بن عبد الله ، تفقه على شيوخ عصره ، درس وأفتى ، وذاع صيته وشهرته لدى المصريين والشاميين على السواء ، توفى ٨٦٣هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٨ ص ٨٦.

(٧) تقى الدين البلاطنسى « ت ٩٣٦هـ » « فتاوى شمس الدين البلاطنسى » « ت ٨٦٣هـ » ص ١٦٢، مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم مكروفيلم (١٢٤٥٨) ، (٣٥٤ فقه شافعى طلعت) .

وحيد الدين إبراهيم نائب قاضى القضاة الشافعية تقى الدين ابن بنت الأعز «ت٦٩٥هـ»[١] «تهـ»، بتزويج فتاة فقدت وليّها[٢].

(١) تقى الدين بن بنت الأعز: تقى الدين عبد الرحمن بن قاضى القضاة تاج الدين بن عبد الوهاب، تولى قضاء الشافعية بمصر، توفى عام ٦٩٥هـ، انظر: ابن العماد «شذرات الذهب» ح ٥ ص ٤٣١.

(٢) د. أحمد عبد الرازق «عقد نكاح من عصر المماليك البحرية» ص ٧١، ٧٢، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، الكويت، عدد (٢٢) لعام ١٩٨٦م.

obeikandl.com

٥ ـ العلماء والعمران

ساهم علماء مصر والشام ـ فى القرن التاسع ـ فى حركة العمران، حيث أنشأوا المدارس، والمساجد، والزوايا، والخانات، والسبل، وأبراج المرابطة.

* **المدارس:**

كان العرب والمسلمون يُطلقون على مكان دراسة العلوم «دار العلم»، وكانت مدينة نيسابور أول مدينة إسلامية أطلقت كلمة مدرسة على دار العلم، وكان ذلك فى القرن الرابع الهجرى فى عهد محمود الغزنوى، وهناك من المؤرخين من يرى أن الوزير الفارسى نظام الملك الطوسى هو أول من بنى مدرسة فى الإسلام، وهى المدرسة التى بناها ببغداد عام ٤٥٧هـ، وكان هذا الوزير قد بنى قبل هذا التاريخ مدرسة فى نيسابور[١].

ومن علماء مصر الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها المدارس العالم بدر الدين العينى[٢] «ت ٨٥٥هـ»، الذى أنشأ مدرسة بحارة كُتامَة[٣] بالقرب من الجامع الأزهر[٤]

---

(١) د. حسن شميسانى «مدارس دمشق فى العصر الأيوبى» ص ١٣، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ١ (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، د. أحمد رمضان «الإيجازات والتوقيعات المخطوطة فى العلوم النقلية والعقلية من القرن ٤ إلى ١٠هـ» ص ٥، هيئة الآثار المصرية «مشروع المائة كتاب» رقم (٤) ١٩٨٦م، د. أحمد رمضان «المدارس والمذهب الشافعى» ص ٢، مقال بمجلة كلية الآثار، جامعة القاهرة، العدد (٥) عام ١٩٩١م.

(٢) بدر الدين العينى: محمود بن أحمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الحنفية بمصر عام ٨٢٩هـ، وحسبة مصر مرات عدة، توفى ٨٥٥هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١٠ ص ١٣١.

(٣) **حارة كتامة**: ذكر عنها المقريزى أنها هى المجاورة للباطِلِيَّة، وتارة يضيفونها إليها، والصحيح أنها حارة مفردة، انظر: المقريزى «المواعظ والاعتبار» ص ٣٣١.

(٤) **الجامع الأزهر**: أول مسجد أسس بالقاهرة، والذى أنشأه القائد جوهر الصَّقْلى مَوْلى المعز لدين الله بن المنصور بن المهدى الفاطمى، لما اختط القاهرة، واكتمل بناؤه لتسع خلون من شهر رمضان سنة إحدى وستين وثلاث مائة، وكان منارة دينية وعلمية فى عهد المماليك، انظر: المقريزى «المواعظ والاعتبار» ح ٤ ص ٩٠ ـ ١٠٦.

الشريف عام ٨١٤هـ/١٤١١م ، وأوقف عليها الأوقاف[١] .

ومن هؤلاء العلماء ـ أيضًا ـ عز الدين أبو البركات[٢] « ت ٨٧٦هـ » ، الذى أنشأ مدرسة بشبرا الخيمة[٣] ، ومدرسة أخرى بجوار بيته[٤] ، والعالم أبى القسم النويرى[٥] « ت ٨٥٧هـ » الذى بنى مدرسة بالخانقاه السرياقوسية[٦] ، وأوفق عليها ما كان فى حوزته من أملاك[٧] ، والعالم ابن مزهر[٨] « ت ٨٩٣هـ » ، الذى بنى مدرسة مجاورة لبيته[٩] ، والعالم أبو البقاء بن الجيعان[١٠]

---

(١) العينى « عقد الجمان » ص ٧٤، ٣٩٧، ابن الصيرفى « نزهة النفوس » ح ٢ ص ٢٩٠، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٤٣٤.

(٢) عز الدين أبو البركات : أحمد بن إبراهيم ، تفقه على شيوخ عصره ، درس ، ولى قضاء الحنابلة بمصر ، توفى ٨٧٦هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٠٥.

(٣) **شبرا الخيمة** : يذكر ابن دقماق أنها من ضواحى القاهرة العامرة ، عصر المماليك ، كان بها طواحين وأفران ومعاصر زيت حار وغير ذلك ، وكان سوقها يوم الثلاثاء ، انظر : ابن دقماق « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » ح ٥ ص ٤٧، تحقيق كارل فولرنس ، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، فى إطار جامعة فرانكفورت ، جمهورية ألمانيا الاتحادية ، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م ، محمد رمزى « القاموس الجغرافى » ح ١ ص ١٢.

(٤) السخاوى « وجيز الكلام » ح ٢ ص ٨٣٥، ابن الصيرفى « إنباء الهصر » ص ٣٤٧، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٨، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٠٥.

(٥) أبى القسم النويرى : محمد بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، برع فى الفقه والنحو والمنطق ، أفتى ، توفى ٨٥٧هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٩ ص ٢٤٦.

(٦) **الخانقاه السرياقوسية** : هى من الخوانق التى أنشأها السلطان الناصر محمد بن قلاوون بسرياقوس ـ من الأعمال القليوبية ـ ، عام خمس وعشرين وسبع مائة ، وأوقف عليها الأوقاف ، انظر شمس الدين الشجاعى « تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحى وأولاده » ص ١١٧، تحقيق برباره شيفر ، فرانز شتاينر ـ ڤيسبادن ، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ، ابن دقماق « الانتصار » ح ٥ ص ٤٩، ٥٠.

(٧) السخاوى « الضوء اللامع » ح ٩ ص ٢٤٧.

(٨) ابن مزهر : أبو بكر بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، تولى وكالة بيت المال ، ونظر الجيش ، وكتابة السر بمصر ، توفى ٨٩٣هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١١ ص ٨٨.

(٩) ابن شاهين « المعجم المفنن » ص ٥٢، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١١ ص ٨٨.

(١٠) أبو البقاء بن الجيعان : البدر بن محمد بن يحيى ، تفقه على شيوخ عصره ، ولد عام ٨٤٧هـ ، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ١١ ص ٨، ٩.

الذى بنى مدرسة بالزاوية[١] الحمراء بالقرب من قناطر الأوز[٢]، والعالم سراج الدين البلقينى[٣] «ت ٨٠٥هـ» الذى أنشأ مدرسة بالقاهرة[٤].

أمّا علماء دمشق الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها المدارس شمس الدين الإخنائى[٥] «ت ٨١٦هـ»، الذى أنشأ المدرسة الإخنائية التى تقع على يمين الخارج من باب الزيادة[٦] عام ٨١٦هـ/١٤١٣م، وكانت تلك المدرسة تقوم بتدريس القرآن وعلومه، والحديث وعلومه، والفقه الشافعى ـ مذهب الإخنائى ـ، وذلك كما يظهر من وثيقة وقفها[٧]، ويذكر الباحث أكرم حسن العلبى أن تلك المدرسة لا تزال

---

(١) **الزاوية الحمراء**: هى القرية التى ذكرها ابن عبد الحكم فى كتاب «فتوح مصر» باسم «ياق»، وقال إنها كانت بغرب «أم دنين»، ثم عرفت فيما بعد باسم «كوم الريش»، وقال عنها المقريزى إنها تقع بين أرض البعل ـ من أعمال ضواحى القاهرة ـ ومنية السيرج، كان النيل يمر بغربيها بعد مروره بغربى أرض البعل، ولقد قام الأشرف قايتباى عام ٨٩٠هـ بتجديد هذه القرية وأنشأ بها زاوية دهنت حيطانها من الخارج باللون الأحمر فعرفت بالزاوية الحمراء واختفى اسمها القديم وهو كوم الريش، انظر: محمد رمزى «القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م» ح ١ القسم الثانى ص ١١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، «د. ت».

(٢) السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨، ٩.

(٣) سراج الدين البلقينى: انظر: ص ٢١٧.

(٤) ابن قاضى شهبة «طبقات الشافعية» ص ٢٧٨.

(٥) شمس الدين الإخنائى: محمد بن محمد بن عثمان، تفقه على شيوخ عصره، درس، ولى قضاء الشافعية بدمشق، ووكالة بيت المال، توفى ٨١٦هـ، انظر: ابن طولون «قضاة دمشق» ص ١٢٥، النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ١ ص ١٤٤.

(٦) **باب الزيادة**: باب الزيادة هو أحد أبواب الجامع الأموى بدمشق، حيث أن الجامع له أربعة أبواب، الباب الشرقى وهو باب جيرون والباب الغربى ويعرف بباب البريد، والباب الشمالى ويعرف بباب الناطفيين، أما باب الزيادة هو الباب القبلى، ومنه يُنفذ إلى سوق الصاغة، والبيمارستان العتيق وسوق القمح، انظر: البدرى «أبو البقاء عبد الله ولد ٨٤٧هـ» «نزهة الأنام فى محاسن الشام» ص ٥٦، أكرم حسن العلبى «خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة على مدى ألف عام من سنة ٤٠٠هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ» ص ٢٨٧، دار الطباع، دمشق، ط ١ (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

(٧) النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ١ ص ١٢، د. قتيبة الشهابى «النقوش الكتابية فى أوابد =

محافظة على شكلها العام[١].

ومن هؤلاء العلماء ـ أيضًا ـ قطب الدين الخيضرى[٢] «ت ٨٩٤هـ» الذى أنشأ المدرسة الخيضرية ـ التى تقع داخل باب الجابية[٣] ـ عام ٨٧٨هـ/١٤٧٣م وذلك لتدريس القرآن وعلومه، وأوقف عليها الأوقاف[٤]، ومازال بناء المدرسة قائمًا، وقد تحول إلى مسجد[٥].

والعالم ابن الجزرى[٦] «ت ٨٣٣هـ» الذى أنشأ المدرسة الجزرية بدرب الحجر[٧]، لتدريس القرآن وعلومه[٨]، ولقد درست هذه المدرسة[٩].

= دمشق» ص ١٥١، أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٦٨، ٩٨، د. سعود محمد «الحياة الثقافية بدمشق» ص ١٦١.

(١) أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٩٨.

(٢) قطب الدين الخيضرى: محمد بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء الشافعية بدمشق، ووكالة بيت المال، توفى ٨٩٤هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ٩ ص ١٢١، ابن طولون «قضاة دمشق» ص ١٧٨.

(٣) **باب الجابية**: باب رومانى الأصل فى الجهة الغربية لسور المدينة القديمة، ويقابله فى جهة الشرق الباب الشرقى، ويمتد بينهما الشارع المستقيم ـ سوق مدحت باشا وامتداده ـ، وكان له ثلاث بوابات، انظر: د. قتيبة الشهابى «النقوش الكتابية فى أوابد دمشق» ص ٣٧، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٧م.

(٤) النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ١ ص ٣، النعيمى «دور القرآن بدمشق» ص ٢٩، ابن المبرد «ثمار المقاصد فى ذكر المساجد» ص ٢١٣، البصروى «تاريخ البصروى» ص ٦٢، د. سعود محمد «الحياة الثقافية» ص ١٤٤.

(٥) د. قتيبة الشهابى «النقوش الكتابية فى أوابد دمشق» ص ٩٦، أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٦٥.

(٦) ابن الجزرى: محمد بن محمد بن محمد بن يوسف، تفقه على شيوخ عصره، برع فى علم القرآت، توفى ٨٣٣هـ، انظر: النعيمى «الدارس» ح ١ ص ٨.

(٧) **درب الحجر**: درب قديم، وهو الطريق الواصل بين باب توما والقشلة، انظر: النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ١ ص ٨، أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٤٣٩.

(٨) النعيمى «دور القرآن بدمشق» ص ١، ٢٨، النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ١ ص ٨، ابن طولون «قضاة دمشق» ص ١٢١.

(٩) أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٦٤.

والعالم نظام الدين أبو حفص[1] « ت ٨٧٢هـ » الذى أنشأ المدرسة النظامية ـ التى تقع إلى الشمال من المدرسة الشبلية[2] ـ حوالى عام ٨٥٠هـ/١٤٤٦م، لتدريس الحديث وعلومه، والمدرسة تشمل على إيوان المحراب[3]، وبه إيوان غربى، وشمالى إيوان المحراب إيوان لطيف به بركة ماء، وعن شرقيها رواق[4] معد للنساء[5].

كما قام العالم زين الدين عبد الرحمن[6] « ت ٨٥٦هـ » بتجديد عمارة المدرسة العمرية[7]

---

(١) نظام الدين أبو حفص : عمر بن إبراهيم، تفقه على شيوخ عصره، تولى قضاء غزة، وتولى قضاء دمشق، توفى عام ٨٧٢هـ، انظر : ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ١٤٥.

(٢) **المدرسة الشبلية** : تقع المدرسة الشبلية بسفح جبل قاسيون، وأنشأ هذه المدرسة شبل الدولة كافور الحسامى نسبة إلى حسام الدين محمد بن لاجين، توفى عام ٦٢٣هـ، انظر : ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ١٩٤.

(٣) **الإيوان** : كلمة فارسية معربة مأخوذة من « ايفان » وتعنى لغويًا قاعة العرش، ومنه إيوان كسرى، أما فى العمارة المملوكية فالإيوان يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاث حوائط أى من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة، وإذا سد الإيوان بحائط من الجهة الرابعة فلا يقال له إيوان بل مجلس، والإيوان يعلو دائمًا بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن باقى مسطحات المكان، وسقف الإيوان إما معقود أو مسطح، انظر : د. محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم « المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية » ص ١٧، دار النشر بالجامعة الأمريكية، القاهرة، ١٩٩٠م، د. فاطمة محجوب « الموسوعة الذهبية للعلوم الإسلامية » ح ٦ ص ٣٠١، أحمد عطية « القاموس الإسلامى » ص ٢٢٩، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

(٤) **رواق** : الرواق فى المساجد يطلق على المسطحات المسقفة التى بين الأعمدة، وفى الدور يعنى الرواق وحدة سكنية أو جزء من الوحدة السكنية، انظر : د. محمد محمد أمين، ليلى على إبراهيم « المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية » ص ٥٧.

(٥) ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ١٤٥، ١٤٦، أكرم حسن « خطط دمشق » ص ٨٩.

(٦) زين الدين عبد الرحمن : عبد الرحمن بن أبى بكر، تفقه على شيوخ عصره، وكان زاهدًا آمرًا بالمعروف وناهيًا عن المنكر، انظر : السخاوى « الضوء اللامع » ح ٤ ص ٦٢، النعيمى « الدارس فى تاريخ المدارس » ح ٢ ص ٢٠٢.

(٧) **المدرسة العمرية** : أو مدرسة « أبى عمر »، أنشأها العالم أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة سنة ٥٥٥هـ بمدينة الصالحية، انظر : النعيمى « الدارس فى تاريخ المدارس » ح ٢ ص ١٠٠، ابن طولون « تاريخ الصالحية » ص ٢٤٨، د. قتيبة الشهابى « النقوش الكتابية فى أوابد دمشق » ص ١٦٧.

obeikandi.com

بالصالحية[1][2].

* **المساجد :**

المسجد اسم مشتق من الجذر اللغوى سجد ، وهى اسم لمكان السجود ، والمعنى الدلالى مكان أداء الصلوات الخمس وعبادة الله ، وهناك ادعاءات للمستشرقين بأن أصل كلمة « مسجد » لغويًا غير عربى ، وأن أصلها إيطالى من الكلمة الإيطالية القديمة « Meschita» ، أو أنها أسبانى تعود إلى كلمة « Mazad» « مزد » ، ثم استخدمها أهل المغرب بلفظ « مسيد » ، ثم انتقلت للبلدان العربية لتصبح « مسجد »[3] .

ومن علماء مصر الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها المساجد العالم عز الدين أبو البركات[4] « ت ٨٧٦هـ » الذى أنشأ جامعًا بشبرا[5] الخيمة[6] ، كما قام العالم شمس الدين الغمرى[7] «ت٨٤٩هـ» ببناء جامع بسوق أمير الجيوش[8] ، كما

---

(١) **الصالحية** : قرية كبيرة بنيت فى العهد الأيوبى فى لحف جبل قاسيون من غوطة دمشق ، ثم زاد المماليك فى عمارتها ، وكان فيها عدد كبير من المساكن والمدارس والحمامات والمتنزهات ، انظر : ياقوت الحموى « معجم البلدان » ح ٥ ص ٣٦٣، أكرم حسن « خطط دمشق » ص ٦٢.

(٢) النعيمى « الدارس فى تاريخ المدارس » ح ٢ ص ٢٠٢، محمد أديب « منتخبات التواريخ لدمشق » ص ٥٥٨.

(٣) بشير سعيد « الدور السياسى للمسجد » ص ١٦، ماجستير ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسة ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٤م .

(٤) عز الدين أبو البركات : انظر : ص ٢٣٩.

(٥) شبرا الخيمة : انظر : ص ٢٣٩.

(٦) السخاوى « وجيز الكلام » ح ٢ ص ٨٣٥، ابن الصيرفى « إنباء الهصر » ص ٣٤٧، ابن مكى « السحب الوابلة » ح ١ ص ٩٠، السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٨.

(٧) شمس الدين الغمرى : محمد بن عمر ، تفقه على شيوخ عصره ، كان زاهدًا متقشفًا ، توفى ٨٤٩هـ ، انظر : السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ٣٢٨ ، الشوكانى « البدر الطالع » ح ٢ ص ١١٨ .

(٨) **سوق أمير الجيوش** : سُوَيقة أمير الجيوش ـ كما يذكر المقريزى ـ منسوبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله أبى تميم مَعَدّ بن الظاهر «ت٤٨٨هـ» ، وتقع هذه السويقة من باب حارة بَرْجَوان إلى قريب الجامع الحاكمى ، انظر : المقريزى «المواعظ» ح ٣ ص ٣٣٤.

جدد عدة جوامع كانت قد دثرت أو أشرفت على الدثور[١].

أما علماء دمشق الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها المساجد العالم بدر الدين حسن[٢] «ت ٨٣١هـ»، الذى قام بتحديد عمارة جامع الجوزة[٣] وتوسعته عام ٨٣٠هـ/١٤٢٦م[٤].

كما قام العالم ابن مزهر[٥] «ت ٨٩٣هـ» بتجديد عمارة مسجد ابن هشام[٦]، وجعل له منارة[٧] فائقة الحسن، ولازال هذا المسجد قائمًا[٨]، ومن علماء دمشق ـ أيضًا ـ التى

---

(١) السخاوى «الضوء اللامع» ح ٨ ص ٢٣٩ .

(٢) بدر الدين حسن: هو بدر الدين حسن بن ناظر الجيش نجم الدين، تولى نظر الجيش وكتابة السر بدمشق، وذكر ابن طولون أنه تولى قضاء المالكية بدمشق عام ٨٠٧هـ، توفى ٨٣١هـ، انظر: النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ٢ ص ٤٢٨، ٤٢٩، ابن طولون «قضاة دمشق» ص ٢٥٢.

(٣) **جامع الجوزة**: من مساجد دمشق القديمة قبلى حمام السكاكرى، ذكره ابن عساكر الذى عايش العهود السلجوقية والأتابكية والنورية ومطلع العهد الأيوبى، انظر: أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٣٢٣، د. قتيبة الشهابى «النقوش الكتابية» ص ٢٠٨.

(٤) النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ٢ ص ٤٢٨، ٤٢٩، ابن المبرد «ثمار المقاصد» ص ١١٢، ٢٠٧.

(٥) ابن مزهر: أبو بكر بن محمد، تفقه على شيوخ عصره، تولى كتابة السر بمصر، وتوفى ٨٩٣هـ، انظر: السخاوى «الضوء اللامع» ح ١١ ص ٨٨.

(٦) **مسجد ابن هشام**: ذكر ابن عساكر هذا المسجد، ويرى أهل الشام أنه مسجد هشام بن عمّار المقرئ المتوفى ٢٤٥هـ أحد رواة المقرئ ابن عامر الشامى، ويقع المسجد فى أول سوق مدحت باشا، مقابل خان الدكّة، ومازال هذا المسجد قائمًا، انظر: أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٣٥٩.

(٧) **منارة**: المنارة أو المأذنة موضع الآذان، وكانت المنارة أو المئذنة كتلة معمارية مرتفعة كالبرج، وقد تكون مربعة أو مستديرة أو بها جزء مربع، وأعلاها مستدير، وبداخلها سلم يؤدى إلى دورات ـ أى شرفات ـ تحيط بالمأذنة يؤذن من عليها المؤذن ليصل صوته إلى أبعد مدى ممكن، والمآذن المملوكية تتكون غالبًا من جزء مربع ثم جزء مثمن ثم جزء مستدير بينهم الدورات، ويعلوها جوسق ينتهى بخوذة يثبت بها صوارى تعلق بها «ثريات» أو فوانيس، انظر: د. محمد محمد أمين «المصطلحات المعمارية» ص ٩٧، ٩٨.

(٨) أكرم حسن «خطط دمشق» ص ٣٥٩.

ذكرت المصادر أنهم أنشأوا بها المساجد كمال الدين الحمزاوى[١] « ت ٩٣٣هـ » الذى أنشأ مسجدًا وصفته المصادر بأنه يدخل إليه من ممر ضيق يؤدى إلى صحن[٢] مغطى بالحجارة البيضاء والسوداء، وفيه بركة ماء، وبه محراب[٣] ومنبر[٤] عاديان[٥].

* **الزوايـــا :**

كانت الزوايا فى العصر المملوكى يمارس فيها العبادة من صلاة وقراءة قرآن، كما استخدمت كمأوى لطوائف المريدين من الصوفية يقيمون فيها ليلهم ونهارهم، كما اتخذت مأوى لأصحاب العاهات وكبار السن والمكفوفين، وكذا المطلقات من النساء[٦].

ومن علماء مصر الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها الزوايا العالم أبو

---

(١) كمال الدين الحمزاوى : محمد بن حمزة، تفقه على شيوخ عصره، صار أحد شيوخ الإسلام المعول عليهم بدمشق فقهًا، وأصولًا، وعربية، ولى إفتاء دار العدل بدمشق، درس، وأفتى، توفى ٩٣٣هـ، انظر : ابن العماد « شذرات الذهب » ح ٨ ص ١٩٤.

(٢) **الصحن** : الصحن مساحة وسط الدار، والصحن المستوى من الأرض، وفى العمارة المملوكية صحن المكان أو المدرسة هو دور قاعتها بين إيواناتها الأربعة، أو صحن المسجد يحيط به الأروقة، وغالبًا ما يكون الصحن كشف سماوى، ويطلق عليه بعض رجال المعمار فى العصر المملوكى « وسط »، انظر : د. محمد محمد أمين « المصطلحات المعمارية » ص ٧٢.

(٣) **المحراب** : المحراب حنية فى حائط حرم الصلاة تشير إلى جهة القبلة « المسجد الحرام » بمكة، ويقف الإمام أمام المحراب ليؤم المصلين، والمحراب عند العامة فى العصر المملوكى مقام الإمام، وتجويف المحراب على شكل نصف اسطوانة تغطيها نصف قبة تسمى « خوذة »، ويكتنف المحراب عادة عمودان، انظر : د. محمد محمد أمين « المصطلحات المعمارية » ص ١٠٠.

(٤) **منبر** : المنبر مرقاة الخطيب بالجامع، ولا يستخدم هذا المصطلح فى الوثائق المملوكية لغير ذلك، انظر : د. محمد محمد أمين « المصطلحات المعمارية » ص ١١٦.

(٥) ابن المبرد « ثمار المقاصد » ص ٢٤٨.

(٦) طارق محمد المرسى « الزوايا فى العصر المملوكى بالقاهرة : دراسة أثرية حضارية » ص ٢٦١، ٢٦٣، ماجستير، كليى الآثار، ٢٠٠٠م.

إسحاق[١] الأبناسى «ت ٨٠٢هـ»، الذى أنشأ زاوية[٢] بالمقس[٣].

أمّا الزوايا التى أنشأها علماء دمشق، فمنها الزاوية الداودية ـ التى تقع بسفح قاسيون[٤] ـ، وهى أعظم زوايا مدينة الصالحية[٥]، قام العالم زين الدين[٦] عبد الرحمن «ت ٨٥٦هـ» بتعمير وتوسعة الزاوية التى أنشأها والده الشيخ أبو بكر بن داود، وأوقف عليها الأوقاف، وجعل لها صهريجًا[٧]، وخلاوى[٨] كثيرة للفقراء الصوفية،

---

(١) أبو إسحق الأبناس: إبراهيم بن حسن، تفقه على شيوخ عصره، خطيب جامع المقس، وولى مشيخة الخانقاه الناصرية، توفى ٨٠٢هـ، انظر: المقريزى «المقفى» ح ١ ص ١٣٩.

(٢) **المقس**: يدل على موضعه اليوم ميدان رمسيس، حيث كان النيل يجرى فى عهد الدولة الفاطمية فى المكان الذى يمر فيه اليوم شارع محمد فريد وميدان رمسيس، ويدخل فيه مدخل شارع الجمهورية والمبانى التى على جانبيه جنوبًا حتى شارع نجيب الريحانى، ومن الشرق حتى شارع بورسعيد، انظر: المقريزى «المواعظ والاعتبار» هامش ٢ ص ٦٠، تحقيق د. أيمن فؤاد سيد، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامى، لندن، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

(٣) المقريزى «المقفى» ح ١ ص ١٣٩.

(٤) **قاسيون**: جبل قاسيون، هو الجبل الأشم الذى تقوم مدينة دمشق على أقدامه، يتصل من جهة الغرب بسلسلة جبال لبنان، ومن الشمال والشرق بسلسلة جبال قلمون الممتدة إلى منطقة حمص، ولقاسيون سفحان يفصل بينهما نهر يزيد، انظر: ابن طولون «تاريخ الصالحية» ص ٣٧، ٤٣.

(٥) الصالحية: انظر ص ٢٤٣.

(٦) زين الدين عبد الرحمن: ص ٢٤٢.

(٧) **الصهريج**: قيل إن الصهريج سمّى صهريجًا نسبة إلى الصاروج وهى المادة العازلة التى كان يصرج بها ـ أى يطلى ـ من الداخل، والصهريج خزان للمياه يبنى بالأجر والخافقى فى تخوم الأرض لحفظ المياه، ويغطى عادة بقباب ضاحلة غير عميقة، وتغطى فوهة الصهريج بخرزة من الرخام أو الحجر الصلد، ويمكن النزول إلى قاع الصهريج لتنظيفه، وتطهيره عن طريق سلم، انظر: د. محمد محمد أمين «المصطلحات المعمارية» ص ٧٣.

(٨) **خلاوى: الخلوة**: حجرة صغيرة بدون شبابيك فى الغالب يختلى داخلها الصوفى بمفرده، انظر: د. محمد محمد أمين «المصطلحات المعمارية» ص ٤٣.

وميضأة[1] ، ومكتبة ، ومساكن للنساء[2] .

ومن تلك الزواية ـ أيضًا ـ الزاوية الحصنية ـ التى تقع بحى الشاغور[3] ـ التى أنشأها العالم تقى الدين الحصنى[4] « ت ٨٢٩هـ »[5] .

والزاوية المنصورية التى أنشأها العالم برهان الدين بن منصور[6] ، وهى تقع عند الجامع الجديد[7] بمدينة الصالحية[8] ، وجعل برهان الدين بهذه الزاوية خلوة[9] للشيخ ، ورواقًا[10] .[11]

---

(١) **ميضأة** : مكان يخصص بجوار المساجد ، وأماكن الصلاة ، به مراحيض ، وأحواض للتطهر ، انظر : د. محمد محمد أمين « المصطلحات المعمارية » ص ١١٨.

(٢) النعيمى « الدارس فى تاريخ المدارس » ح ٢ ص ٢٠٢، ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، محمد أديب « منتخبات التواريخ لدمشق » ص ٥٥٨، أكرم حسن « خطط دمشق » ص ٤١٦.

(٣) **الشاغور** : هو من أحياء دمشق الكبرى ، ويقع إلى الجنوب الشرقى من الباب الصغير ـ أصغر أبواب مدينة دمشق المسورة ـ ، انظر : ياقوت الحموى « معجم البلدان » ح ٣ ص ٣١٠، أكرم حسن « نيابة دمشق » ص ٢٥، ٣٥، ٦٨.

(٤) تقى الدين الحصنى : أبو بكر بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، حتى صار شيخ الشافعية بدمشق ، توفى ٨٢٩هـ ، انظر : المقريزى « العقود الفريدة » ح ١ ص ١٨٢.

(٥) أكرم حسن « خطط دمشق » ص ٤١٥، د. سعود محمد « الحياة الثقافية » ص ٢٢٥.

(٦) برهان الدين بن منصور : تفقه على شيوخ عصره ، كان من علماء الشافعية بدمشق ، توفى فى حدود التسعين وثمانمائة ، انظر : ابن طولون « تاريخ الصالحية » ص ٣٠٥.

(٧) **الجامع الجديد** : يقع على حافة نهر يزيد على الطريق الآخذ إلى كهف جبريل ، وأصله تربة الست خاتون بنت معين الدين اتز زوج السلطان نور الدين محمود ثم السلطان صلاح الدين الأيوبى ، ولقد بنيت الخاتون تلك التربة عام ٥٧٧هـ ، ودفنت فيها عام ٥٨١هـ ، وفى عام ٦٥٣هـ أنشأ إلى جانب التربة من الشرق مسجدًا ، وفى عام ٧٩٠هـ وسع المسجد وضمت التربة إليه ، فصار يسمى « الجامع الجديد » ، انظر : ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ١٠٣، أكرم حسن « خطط دمشق » ص ٣٢١.

(٨) الصالحية : انظر : ص ٢٤٣.

(٩) الخلوة : انظر : ص ٢٤٦.

(١٠) الرواق : انظر : ص ٢٤٢.

(١١) ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ٣٠٥.

والزاوية الرجيحية التى أنشأها العالم محيى الدين عبد القادر[١] « ت ٩١٠هـ » ، وهى تقع بسفح جبل قاسيون[٢] ، وهذه الزاوية تشمل محل للذكر ، وخلوة ، ورواق ، وميضأة[٣] .[٤]

السبل :

السبيل مصطلح للوحدة المعمارية التى تعمل على توفير مياه الشرب للناس ويتكون السبيل من ثلاث طوابق ، الأول فى تخوم الأرض وهو الصهريج الذى يملأ بالماء ، والطابق الثانى أرضه أعلى من مستوى الشارع بقليل ويمثل حجرة السبيل أو « حانوت السبيل » ، ولهذه الحجرة شبابيك للتسبيل ، وبداخلها أحواض تحت الشبابيك تملأ بالماء العذاب من الصهريج ، وأما الطابق الثالث أى العلوى فهو غالبًا قاعة لتعليم الأطفال الأيتام أى « كُتّاب » ، وأحيانًا كان يخصص الدور الثالث للمزملاتى وهو الشخص المسئول عن التسبيل ، ولقد سُمّى السبيل بذلك الاسم لأنه موضع أوقفه الخيّرون ليوضع فيه الماء المسبل أى المجعول فى سبيل الله ، وقد يخصص الواقف السبيل للشراب فقط أو النفع العام[٥] .

ومن علماء مصر الذين ذكرت المصادر التاريخية أنهم أنشأوا بها السبل عز الدين أبو البركات[٦] « ت ٨٧٦هـ »[٧] ، وابن مزهر[٨] « ت ٨٩٣هـ »[٩] .

---

(١) محيى الدين عبد القادر : عبد القادر بن محمد ، تفقه على شيوخ عصره ، ناب فى الحكم عن قضاء الحنابلة بدمشق ، توفى ٩١٠هـ ، انظر : ابن العماد الحنبلى « شذرات الذهب » ح ٨ ص ٤٦، ٤٧.

(٢) جبل قاسيون : انظر : ص ٢٤٦.

(٣) ميضأة : انظر : ص ٢٤٧.

(٤) ابن طولون « تاريخ الصالحية » ح ١ ص ٣٠١، ٣٠٢.

(٥) د. محمد محمد أمين ، ليلى على إبراهيم « المصطلحات المعمارية فى الوثائق المملوكية » ص ٦٢، جلال أسعد « عمائر السلطان قايتباى فى بيت المقدس » ص ٢٥، ماجستير ، آثار القاهرة ، ١٩٧٤م .

(٦) عز الدين أبو البركات : انظر : ص ٢٣٩.

(٧) السخاوى « الذيل على رفع الأصر » ص ٣٨، السخاوى « وجيز الكلام » ح ٢ ص ٨٣٥، ابن مكى « السحب الوابلة » ح ١ ص ٩٠، ابن الصيرفى « إنباء الهصر » ص ٣٤٧.

(٨) ابن مزهر : انظر : ص ٢٤٤.

(٩) ابن شاهين « المعجم المفنن » ص ٥٢.

obeikandi.com

كما يرجع الفضل إلى علماء القدس فى عمارة السبيل[١] الذى أنشأه السلطان قايتباى[٢] عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م، حيث أرسلوا إليه يطالبونه ببناء هذا السبيل الذى كان السلطان إينال[٣] شرع فى بناءه، ولكنه لم يتم، فاستجاب لهم السلطان قايتباى[٤].

* **الخـانات :**

الخان لفظة فارسية الأصل بمعنى البيت والمنزل، ولقد أطلقت على منزل المسافر[٥].

ومن علماء القرن التاسع الذين أنشأوا خانات للمسافرين، العالم الدمشقى زين الدين عبد الرحمن[٦] «ت ٨٥٦هـ»، الذى أنشأ خانًا بقرية الحسينية من وادى نهر بَرَدَى[٧] على طريق بعلبك[٨] .....

---

(١) يقع هذا السبيل فى منتصف الطريق المؤدى إلى قبة الصخرة، والمسجد الأقصى ـ تقريبًا ـ، انظر: جلال أسعد «عمائر السلطان قايتباى» ص ١٢٨، ١٣١.

(٢) قايتباى: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ٢٢ .

(٣) إينال: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ١٠ .

(٤) مجير الدين الحنبلى «الأنس الجليل» ح ٢ ص ٢٨٤، جلال أسد «عمائر السلطان قايتباى» ص ١٢٦.

(٥) حبيب زيات «خانات دمشق القديمة» ص ٦٦، مجلة المشرق، بيروت، السنة ٣٦، عام ١٩٣٨م.

(٦) زين الدين عبد الرحمن: انظر: ص ٢٤٢.

(٧) **نهر بَرَدَى**: أعظم أنهر دمشق، ومخرج نهر بردى من قرية يقال لها قَنْوا من كورة الزبدانى على خمسة فراسخ من دمشق مما يلى بعلبك، يظهر الماء عن عيون هناك ثم يصب إلى قرية تعرف بالفيجة على فرسخين من دمشق، وتنضم إليها عين أخرى ثم يخرج الجميع إلى قرية تعرف بجمرايا فيفترق حينئذ فيصير أكثره فى بردى، ويحمل الباقى نهر يزيد ـ وهو نهر حفره يزيد بن معاوية فى لحف جبل قاسيون، فإذا صار ماء بردى إلى قرية يقال لها دُمَّر افترق على ثلاثة أقسام، لبردى منه نحو النصف، ويفترق الباقى نهرين يقال لأحدهما ثورا فى شمالى بردى، وللآخر باناس فى قبليه، انظر: شيخ الربوة «شمس الدين أبى عبد الله محمد الدمشقى» «نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر» ص ١٩٤، البدرى «نزهة الأنام» ص ٩٢، ٩٣، د. فاطمة محجوب «الموسوعة الذهبية» ح ٦ ص ٦١٩.

(٨) **بعلبك**: مدينة قديمة فى سهل البقاع على سفح جبل لبنان الشرقى على بعد ٨٥ كم شرقى بيروت، =

وطرابلس[١] يأوى إليه المسافرون[٢]، وكذلك العالم الدمشقى تقى الدين الحصنى[٣] «ت ٨٢٩هـ» الذى أنشأ خانًا بميدان الحصى[٤] بدمشق[٥].

* أبراج الرباط:

جرت العادة عقب الفتوحات الإسلامية الأولى بتشييد نوع من المبانى العسكرية بالثغور ـ التى هى موضع المخافة من العدو ـ، وعرفت تلك المبانى العسكرية بالربط، وكانت تلك الربط أشبه بالقلاع الحصينة، يرابط فيها حامية لدفع عادية الأعداء، وكان التصميم المعمارى لهذه الربط عبارة عن مبانى ذات تخطيط مستطيل يتألف من صحن أوسط تحيط به أبراج فى الأركان، وبالجانب القبلى للحصن مُصلى، وبالجوانب الأخرى حجرات صغيرة بغير نوافذ للمرابطين، ولا يؤدى إلى الرباط إلا مدخل واحد[٦].

= وفيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، وبعلبك هى إحدى كور جند دمشق البرية، وتزخر بالعديد من المساجد التى ترجع إلى القرنين السادس والسابع الهجريين، انظر: ياقوت الحموى «معجم البلدان» ح ٢ ص ٦٧٣، د. فاطمة محجوب «الموسوعة الذهبية» ح ٧ ص ٢١٥.

(١) **طرابلس**: طرابلس الشام، وردت فى بعض المصادر التاريخية باسم «اطرابلس» بزيادة ألف مهموزة، تمييزًا لها عن مدينة طرابلس الليبية، وطرابلس الشام تقع على شاطئ البحر المتوسط فى منتصف الطريق الساحلى الشرقى للبحر المتوسط بين الأسكندرونة فى الشمال وغزة فى الجنوب، انظر: د. السيد عبد العزيز سالم «طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى» ص ٤، وفاء محمد «ساحل الشام فى العصر المملوكى» ص ٣٥.

(٢) النعيمى «الدارس فى تاريخ المدارس» ح ٢ ص ٢٠٢، محمد أديب «منتخبات التواريخ لدمشق» ص ٥٥٨.

(٣) تقى الدين الحصنى: انظر: ص ٢٤٧.

(٤) **ميدان الحصى**: هو أحد أحياء أربعة تقع جنوب دمشق، وهى «السويقة»، والمُصلى، وميدان الحصى، والقبيبات، أمّا حى ميدان الحصى يقع جنوب حى المُصلى مُباشرة، انظر: أكرم حسن «دمشق بين عصر المماليك والعثمانيين» ص ٦١.

(٥) البقاعى «عنوان الزمان» ح ١ ص ١٧٦.

(٦) عميد أ.ح. محمود نديم «الفن الحربى للجيش المصرى فى العصر المملوكى» ص ٣٥، د. عاصم محمد «خانقاوات الصوفية» ص ٩٨، دولت عبد الكريم «الخوانق فى مصر» ص ٢٠، د. عفيف البهنسى «الفن الإسلامى» ص ٢٧٣.

ومن علماء القرن التاسع الذين أنشأوا أبراجًا للمرابطة شهاب الدين ابن أرسلان[١] « ت ٨٤٤هـ » ، حيث عمّر برجًا للمرابطة بثغر[٢] يافا[٣] ، كما عمّر العالمان تقى الدين[٤] ابن قاضى عجلون « ت ٩٢٨هـ » ، وتقى الدين البلاطنسى[٥] « ت ٩٣٦هـ » برجًا للمرابطة ببيروت[٦] عام ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[٧] .

كذلك العالم أبو البركات[٨] محمد « ت ٩٣٣هـ » عمّر برجًا للمرابطة ببيروت[٩] .

وهناك دور آخر للعلماء فى حركة العمران ، حيث أشارت تعاليم الإسلام[١٠] إلى

---

(١) شهاب الدين ابن أرسلان : أحمد بن حسين ، تفقه على شيوخ عصره ، درس وأفتى ، وله مصنفات عديدة ، وهو من كبار علماء القدس ، انظر السخاوى : « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٨٥.

(٢) **يافا** : ميناء هام فيه مرسى السفن الواردة إلى القدس والمُقلعة عنها ، وكان هذا الميناء يستقبل الحجاج المسيحيين فى العصر المملوكى ، انظر : وفاء محمد « ساحل الشام فى العصر المملوكى » ص ٢٨.

(٣) مجير الدين الحنبلى « الأنس الجليل » ح ٢ ص ١٧٤، السخاوى « الضوء اللامع » ح ١ ص ٢٨٥ ـ ٢٨٨.

(٤) تقى الدين بن قاضى عجلون : انظر : ص ٢٢٠.

(٥) تقى الدين البلاطنسى : محمد بن عبد الله ، تفقه على شيوخ عصره ، حتى صار رأس الشافعية بدمشق ، درس وأفتى ، توفى ٩٣٦هـ ، انظر : ابن المبرد « متعة الأذهان » ص ٢٢٠.

(٦) **بيروت** : مدينة مشهورة على البحر المتوسط ، بينها وبين صيدا ثلاث فراسخ ، تمتعت بازدهار تجارى فى العصر المملوكى ، حيث كانت ميناء دمشق الذى تتوارد إليها خيرات البلاد المجاورة لتصدر عن طريقها ، انظر : وفاء محمد « ساحل الشام » ص ٣٤.

(٧) ابن طوق « يوميات ابن طوق » ح ١ ص ٢٥٢.

(٨) أبو البركات محمد : محمد بن عبد الرحمن ، تفقه على شيوخ عصره ، وكان ملازمًا للرباط ببيروت ، وأنشأ بها برجًا للمرابطة ، توفى عام ٩٣٣هـ ، انظر : ابن طولون « ذخائر القصر » ص ٤٠٤.

(٩) ابن طولون « ذخائر القصر » ص ٤٠٧ ـ ٤١٤.

(١٠) صاغ الفقهاء المسلمين أحكام فقهية تنظم العلاقة بين العمارة والمجتمع والبيئة ، ولقد أُطلق على هذا الفرع من الفقه الإسلامى « فقه العمارة » ، ولقد اعتمد فقهاء المسلمين فى تناولهم لأحكام البنيان على قوله تعالى : ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ ، حيث يفسرون العرف فى هذه الآية بالنسبة لأحكام البنيان بما جرى عليه الناس ، وارتضوه ، ولم يعترضوا عليه ، طالما لا يتعارض ذلك مع القرآن الكريم أو السنة النبوية ، كذلك اعتمد فقهاء المسلمين فى تناولهم لأحكام البنيان على الحديث النبوى =

حق الطريق، وعدم الاعتداء عليه سواء بالبناء، أو باستخدامه بأسلوب يضر بالمارة، وعدم إلقاء الفضلات فيه، فالطريق ملكًا لمجموع الأمة، لا يثبت فيه ملك خاص لأحد[١].

ومن هنا أجاز علماء العصر المملوكى ـ فى القرن التاسع ـ أمثال جلال الدين السيوطى[٢] «ت ٩١١هـ»، وزكريا الأنصارى[٣] «ت ٩٢٦هـ» هدم ما أُنشِئ فى الطرقات من أبنية بغير طريق شرعى[٤].

كما ذكرت المصادر التاريخية عام ٨٤٦هـ/١٤٤٢م أن السلطان جقمق[٥] استفتى العلماء فى أمر الطرقات بتوسيعها، وهدم ما أُنشئ فيها من أبنية بغير طريق شرعى، فأجاز العلماء له ذلك[٦].

ولقد تكرر هذا المشهد عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م، حيث كلف السلطان قايتباى القاضى[٧]

= الوارد عن الرسول ﷺ «لا ضرر ولا ضرار»، وهو أحد الأحاديث الخمسة التى يقوم عليها الفقه الإسلامى، لمزيد من الإيضاح، انظر: خالد عزب «دور الفقه الإسلامى فى العمارة المدنية فى مدينتى القاهرة ورشيد فى العصرين المملوكى والعثمانى» ص١٢ ـ ١٤، ماجستير، كلية آثار القاهرة، ١٩٩٥م.

(١) ابن حامد المقدسى «ت ٨٩٣هـ» «الفوائد النفيسة الباهرة فى بيان حكم شوارع القاهرة فى مذاهب الأئمة الأربعة الزاهرة» ص ١، تحقيق د. أمال العمرى، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية «مشروع المائة كتاب» (١٠)، عام ١٩٨٨م، خالد عزب «دور الفقه الإسلامى فى العمارة المدنية» ص ٢٩، د. صبرى السعداوى «الطرق العامة وحمايتها فى الفقه الإسلامى» ص ٦٧٠، مجلة كلية الشريعة والقانون، جامعة الأزهر، عدد (٢٨) عام ٢٠٠٤م.

(٢) جلال الدين السيوطى: انظر: ص ١٦٤.

(٣) زكريا الأنصارى: انظر: ص ٢١٩.

(٤) جلال الدين السيوطى «الحاوى للفتاوى» ص ١٣٣، زكريا الأنصارى «فتاوى زكريا الأنصارى» ص ١٠٦.

(٥) جقمق: سبق التعريف به بالفصل الأول، اتظر: ص ١١ .

(٦) ابن شاهين «الروض الباسم» ص ٦٤، ابن حجر «إنباء الغمر» ح٩ ص ١٨١.

(٧) قايتباى: سبق التعريف به بالفصل الأول، انظر: ص ٢٢ .

فتح الدين السوهاجى[1] بهدم ما أُنشِئ فى شوارع القاهرة بغير طريق شرعى من أبنية ورباع وحوانيت ومصاطب وغيرها، ولقد تم الهدم فعلاً[2].

(١) فتح الدين السوهاجى: هو أحد نواب الحكم لقاضى قضاة الشافعية آنذاك، انظر: ابن شاهين «نيل الأمل» ح ٧ ص ١٨٨.

(٢) أبى حامد المقدسى «ت ٨٩٣هـ» «الفوائد النفيسة الباهرة» ص ٤، ابن شاهين «نيل الأمل» ح ٧ ص ١٨٨، ١٩٤.

obeikandl.com